الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2 **قسم الفلسفة**

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **تخصص: فلسفة عامة**

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بعنوان:

مشكلة الشر في العالم

في فكر القديس أوغسطين

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور/ة:**

قهلوز أمال **كبير محمد**

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
صاري رشيدة	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة وهران 2
كبير محمد	أستاذ محاضر أ	مشرفا وقررا	جامعة وهران 2
بلخضر وحيد	أستاذ محاضر ب	مناقشا	جامعة وهران 2

السنة الجامعية: 2023/2022

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الصلاة والسلام على أشرف المرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

بادئ نشكر رب العباد العلي القدير شكرا جزيلا طيبا مباركا فيه الذي أنارنا بالعلم وزيننا بحلم وأكرمنا بالتقوى وأنعم علينا بالعافية وأنار طريقنا ووفقنا أعاننا لإتمام هذه الدراسة.

فالله الحمد والشكر وهو الرحمان المستعان من منطلق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترافا بفضل والتقدير نوجه بجميل الشكر و:"من لا يشكر الناس، لا يشكر الله عز وجل" وامتنان إلى أستاذنا ومشرفنا "كبير محمد" على قبوله تواضعا منه

الإشراف على هذه المذكرة.

بما منحه لي من وقت وجهد وتوجيه لإنجاز هذا العمل ولا يسعني إلا الدعاء له بوافر الصحة والسداد والتوفيق أتقدم بخالص الشكر وأسمى تقدير إلى كل أستاذ ساهم في تعليمنا طوال مشوارنا الدراسي

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة على منحهم وقتهم الثمين لقراءة هذا البحث المتواضع وإنارتهم لي ملاحظاتهم القيمة واتقدم بالشكر الخالص إلى زملائي في الدفعة 2023

إهداء

وأخيرا رفعت القبعة احتراما لسنين مضت من الدراسة وقد ابتدأ الوداع مع كل ابتسامة في البداية اليوم وبكل فخر أهدي هذا العمل إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحي إلى من كانت ملجئ ويدي اليمنى إلى من أبصرت بها طريق حياتي

"إليك أمي الحبيبة"

وإلى روح جدي الطاهرة وإلى خالي الغالي.

مقدمة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر مبحث القيم من أكثر المباحث جدلا ذلك بسبب القضايا التي يتناولها فهي أخلاقية ودينية عميقة معقدة وجودية، ومن أهم القضايا التي يتناولها هي مشكلة الشر حيث تعد قضية متعددة الأبعاد ومعقدة تواجه البشر منذ القدم، ونظرا لارتباطها الوثيق بالإنسان وبجميع جوانب حياته الأخلاقية والدينية والاجتماعية والفكرية، لقت اهتمام كبير من طرف الفلاسفة في العصر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، خاصة الفلاسفة اللاهوتيين اللذين بحثوا في أعماق هذه المشكلة، بهدف إيجاد حلا لهذه المعضلة، ولعل أهم الشخصيات هنا هو الفيلسوف والقديس أوغسطين الذي طرحت في ذهنه مشكلة الشر والخير طيلة حياته، وكرس جل وقته للبحث عن الحقيقية المخفية وراء مشكلة الشر في العالم وعلاقتها بوجود الله، كما أنه بحث في مصدر الشرور في العالم، وسبب وجود الشر في العالم، حيث أن الشر تنوع واختلفت أشكاله، وهذا ما بحث فيه أوغسطين حول مفهوم الشر وعلاقته بالخير، كذلك وجود الشر وفي المقابل وجود الله، ومن أجل هذا أسس أوغسطين صرحا عظيم يحاول فيه الإجابة وإيجاد حل لمشكلة الشر في العالم، ومن أجل قيمة هذا الصرح اخترنا " **مشكلة الشر في العالم في فكر القديس أوغسطين**" كموضوع بحث في مذكرتنا التي بين أيدينا، وبناء على هذا يقودنا هذا التمهيد إلى صياغة الإشكالية التالية: كيف فسر القديس أوغسطين مشكلة الشر في العالم، وهل توصل إلى حل في النهاية لهذه المشكلة؟ وفيما تمثل هذا الحل؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الكبرى مجموعة من التساؤلات وهي كتالي:

_من هو القديس أوغسطين وفيما تمثلت فلسفته؟

_ما موقف القديس أوغسطين من الشر وعلاقته بالوجود الإلهي؟

_ ما هو مصدر الشرور الأخلاقية؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات اتبعنا الخطة الموالية المتكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة وهي كتالي:

مقدمة شملت تمهيدا وإحاطة بالموضوع من الناحية التاريخية والمعرفية، ثم طرح للإشكالية الكبرى مع مجموعة من التساؤلات، ثم خطة عمل ثم المنهج المعتمد، انتقالا إلى الأسباب الذاتية والموضوعية وأهمية الدراسة وأهم الدراسات السابقة التي أعانتنا لإنجاز هذا العمل، وأخيرا أهم الصعوبات التي واجهتنا.

الفصل الأول كان عبارة عن فصل تمهيدي بعنوان فلسفة القديس أوغسطين، وقد شمل تمهيدا للفصل، وشمل أيضا ثلاث مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول مدخل مفاهيمي لتفكيك مفاهيم عنوان المذكرة، ثم المبحث الثاني كان بعنوان لمحة عن القديس أوغسطين وتنولنا فيه عنصرين كان الأول بعنوان حياته ومؤلفاته، والثاني المرجعية الفكرية والدينية للقديس أوغسطين، وتطرقنا في المبحث الثالث الذي حمل عنوان ملامح فلسفة القديس أوغسطين وتناولنا فيه عنصرين الأول بعنوان الخير عند القديس أوغسطين وثانيا الدليل الأنطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله.

الفصل الثاني كان بعنوان فلسفة الشر عند أوغسطين تناولنا فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول شمل المفهوم المعياري لمشكلة الشر تطرقنا فيه لعنصرين الأول مفهوم المعيار والثاني الشر عند القديس أوغسطين، والمبحث الثاني كان بعنوان مدينة الله عند القديس أوغسطين وفيه تناولنا عنصرين الأول المدينة السماوية والثاني المدينة الأرضية، والمبحث الثالث بعنوان الشر الأخلاقي بين الوجود واللاوجود، وفيه عنصرين الأول أصل الشر ومصدره والثاني بعنوان الخطيئة.

خاتمة في النهاية تناولنا فيها نتائج البحث النهائية التي توصلنا لها من خلال تحليلاتنا ودراستنا لموضوعنا، مع وضع إجابات لتلك الإشكالية والتساؤلات المطروحة في البداية مع اقتراح أفاق لموضوعنا.

واتبعنا من أجل إنجاز هذا العمل المنهج التحليلي، لأننا حللنا وفككنا أفكار أوغسطين الفلسفية واللاهوتية وفسرناها، وقد تعددت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، حيث هناك أسباب الذاتية وأخرى الموضوعية.

الأسباب الذاتية:

التعرف على مبحث القيم ومشكلة الخير والشر من وجهة نظر الفلسفة اللاهوتية عند القديس أوغسطين، والتعرف على أهم الإشكالات التي وردت في فلسفة أوغسطين، أيضا ميولنا لمثل هذه القضايا المرتبطة بالإنسان وأخلاقه،

الأسباب الموضوعية:

قيمة وأهمية وثقل المعارف اللاهوتية، المطروحة في فكر القديس أوغسطين وتأثيرها على الفلسفة الغربية والفلسفة العربية والفكر العالمي بصفة عامة، وحاجة الفلسفة اليوم للعودة إلى الوراء من أجل دراسة وإعادة قراءة المفكرين قراءة جديدة، الذين قدموا الكثير للفلسفة والعالم.

أهمية دراسة الموضوع:

تكمن أهمية مشكلة الشر عند القديس أوغسطين في أنها أثرت على الفكر الغربي المسيحي لعقود طويلة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على قيمة هذا الطرح وقوة تأثيره على الفلسفة والفكر، كذلك يتسنى لنا فهم مشكلة الشر وتطور الاهتمام بها عبر مختلف الفلسفات، دون أن ننسى النظرة الميتافيزيقية البعيدة عن الواقع نوعا ما الذي قام بها أوغسطين.

ومن بين الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع نجد ما يلي:

-أطروحة لنيل شهادة الدكتورة لجامعة لحاج لخضر باتنة 1 كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة بعنوان أوغسطين بين الدين والفلسفة.

مقدمة

– مذكرة لنيل شهادة الماستر لجامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة بعنوان فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين.

–أيضا مذكرة لنيل شهادة الماستر لجامعة محمد بوضياف المسيلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة بعنوان العقل عند القديس أوغسطين.

ولقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء إنجازنا لهذا العمل، ومن أهم هذه العوائق نجد ما يلي: تعقيد أسلوب القديس أوغسطين لأنه يتحدث باللغة الشعرية والصوفية خاصة في تلك الخطابات الموجهة لله التي وجدناها في أغلب كتبه، كما أنه هناك نقص في مصادر الفيلسوف المترجمة إلى العربية وبتالي صعوبة الوصول إلى المعلومات من مصادرها هذا ما دفعنا إلى الاستعانة بالمراجع لتبسيط الفهم، كذلك واجهتنا صعوبة أنه هناك شح في الدراسات التي تتضمن هذا الفيلسوف كموضوع لها لأن أغلب الباحثين يرون أن فكر القديس أوغسطين هو فكر صوفي وغير فلسفي وهذا ما لا نتفق فيه معهم.

الفصل الأول

فلسفة القديس أوغسطين

تمهيد

المبحث الأول: شبكة المفاهيم

المبحث الثاني: لمحة عن القديس أوغسطين

المبحث الثالث: ملامح فلسفة القديس أوغسطين

الفصل الأول: فلسفة القديس أوغسطين

تمهيد:

إن الأفكار الفلسفية معقدة ومركبة ومتشابكة مع بعضها البعض، و يعود هذا التشابك إلى كثرت المصطلحات الفلسفية وغموضها من جهة وعمقها من جهة أخرى، والتي لابد للباحث أن يتطرق لها قبل الحديث عن القضايا والأفكار الفلسفية، ولعل أهم الأفكار التي قد تواجه الباحث الفلسفي هي تلك المتعلقة بالميتافيزيقا والغيبيات والوجود الروحي والمادي، و كل هذه القضايا نجدها بارزة في فكر الفيلسوف القديس أوغسطين، بصفة عامة، فهم أفكار القديس أوغسطين يتطلب التفكير العميق والشامل في هذه القضايا المعقدة والاستفادة من النصوص والأعمال الفلسفية التي كتبها. لكن قبل الحديث عنها لابد لنا من توضيح المفاهيم التي واجهتنا كثيرا في عملنا هذا، إذن ما مفهوم المشكلة والشر والخير والعالم؟ وفيما تتمثل أهم أفكار فلسفة القديس أوغسطين؟

المبحث الأول: شبكة المفاهيم

أولا: مفهوم المشكلة

في الفلسفة، يستخدم مصطلح "المشكلة" للإشارة إلى أفكار أو أسئلة معقدة وغامضة تتعلق بالواقع والوجود والإنسان والعقل والمعرفة والأخلاق وغيرها من المواضيع الأساسية، تتنوع المشكلات الفلسفية وتشمل عدة مجالات، تعتبر المشكلات الفلسفية مهمة لأنها تساعدنا على التفكير العميق والنقاش الحر لإجراء تحليلات وتقييمات عقلانية لأفكارنا وتصوراتنا للعالم والإنسان، فهي التي تحرض العقل وتدفعه للتفكير واستخدام ملكاته، لذلك يجب علينا توضيح معنى المشكلة وما نقصد بها في الفلسفة.

عرفها جميل صليبا بأنها «المعضلة أو النظرية أو العملية التي لا يوصل فيها إلى حل يقيني وهي مرادفة للمسألة يطلب حلها بإحدى الطرق العقلية أو العلمية»[1] أي أن المشكلة هي مسألة تثير التساؤلات التي تتطلب المناقشة والمحاولات للوصول إلى حل، رغم أن هذا الحل يعتبر غير يقيني لأنه ليس صادق صدق مطلق، وغالبا ما نجد المشكلة في الفلسفة، لأن الفلسفة لا تعنى بالحلول وإنما بالتحليل.

كذلك عرفها لا لاند بأنها «المهمة المقترحة، منها صعوبة الحل، مسألة بالمعنى الرياضي، هي أحيانا موضع سيجال»[2] كذلك لالاند يعترف بأن المشكلة صعبة الحل فهي تشبه الجانب الرياضي من العقل أو الجانب العلمي وكثير من الأحيان تكون محل جدل تجاه الحلول التي توصلت لها حول ما إذا كانت يقينية أم غير يقينية.

[1] جميل صليبا، معجم فلسفي، ج2 دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د.ط، 1972، ص 379

[2] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2001، ص 1052

وفي موطن آخر قال عنها بأنها «مهمة منطقية قوامها تحديد شيء بناء على الروابط التي يفترض قيامها بينها وبين اشياء معنية»[1] أي أن المشكلة هي وظيفة خاصة بالمنطق، وهذا ما يستدعي تعقيدها بطبيعة الحال

نلاحظ أنه تم ربط المشكلة بالجوانب الرياضية، وغالبا ما نجد الأمور الرياضية والمعادلات العقلية المعقدة في العلم فنجدها في الفيزياء وفي الرياضيات وفي شتى العلوم، فهي تحتوي على المسائل والمشكلات المعقدة لكن هذا لا يمنعها بأن تكون في الفلسفة وقضاياها وما يؤكد موقفنا هو أن المشكلة « تقال عموما على كل قضية من الطراز النظري وكذلك من الطراز العلمي»[2] لكن من وجهة نظرنا المتواضعة فإن العلم يبحث في الحلول الصحيحة والمؤكدة بالأدلة العلمية، لكن الفلسفة ليست معنية بإيجاد حلول جذرية لمشاكلها وقضاياها المختلفة فما على الفيلسوف إلا أن يبدي موقفه ورأيه تجاه المواضيع، وليس ايجاد حلولا قطعية ويقينية للمشكلات، فهذا ما يبرر لنا التعاريف السابقة التي تنص على أن المشكلة عبارة عن جهود عقلية رياضية وتساؤلات مفتوحة.

إن الفلسفة لا يمكن لها الاستغناء عن المشكلة، فبدون المشكلات لن تدخل الفلسفة في نقاش، فهي التي تثير النقاشات والجدل تجاه الموضوعات الفلسفية حيث أن المشكلة هي التي تمنح الأساس الفلسفي الحقيقي للنقاش، تشكل هذه النواة النهائية للفهم قاعدة الصلة وخيطه الموجه التعليمي»[3] أي أن المشكلة ممتدة إلى جذور الفلسفة وإلى جذور الفهم والنقاش، وبدون هذه المشكلات لن نتمكن من صناعة نقاش فلسفي.

---

[1] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص 1052

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] جاكلين روس، المناهج في الفلسفة، ترجمة: عبد العزيز ركح، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2020 ص50

إذن فإن المشكلة قد يجدها المرء في العلم وفي الفلسفة لكن المشكلات العلمية مختلفة عن المشكلات الفلسفية، من حيث المضمون حيث أن المشكلات العلمية ذات طابع علمي مادي، لكن المشكلات الفلسفية ذات طابع تجريدي منطقي، كذلك اختلاف يكمن نتائج المتوصل لها، فالعلم يبحث عن الحلول الجذرية للمشاكل، في حين أن الفلسفة تبحث عن رؤية صحيحة تجاه المواضيع المشكلات والمشكلات، فالمشكلات قد تزول مع العلم لكنها تبقى محل جدل ونقاش في الفلسفة حيث تقول جاكلين روس« في العلمي يمكن للمشكلة أن تتلاشى في الفلسفة يستمر وجود هذه الأخيرة حتى في الحل الذي تقتضيه»[1] أي أن العلم يرضى بالحلول التي توصل لها العلماء بالأدلة، لكن في الفلسفة كل مشكلة تولد مشكلة أخرى فالفيلسوف يخلق من الحل مشكلة وهنا يكمن الابداع الفلسفي، في ابداع التساؤلات والمشكلات.

ثانيا: مفهوم الشر

إن الشر من الكلمات المتداولة بين الناس، لأن الشر خلق مع الإنسان، وما دام الإنسان حيا سوف يبقى الشر حوله حتى وإن كان، إنسان طيبا فالناس من حوله أشرار، لكن مفهوم الشر ليس بسيطا كما نظن فهو مفهوم فلسفي معقد عميق مركب، لن نتمكن من فهمه في بضع سطور إلا أننا سوف نحاول أن نوضحه قدر الإمكان حيث عرف الشر في المعجم الفلسفي بأن« الشر السوء والفساد يقال رجل شر أي ذو الشر وهو شر الناس أي أسواؤهم واكثرهم فسادا»[2] يقترن الشر بالفساد والخراب دائما لكن

[1] جاكلين روس، المناهج في الفلسفة، مرجع سابق، ص 50

[2] جميل صليبا، معجم فلسفي، ج1 دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د.ط، 1972، ص 695

ليس كل فساد يعني أنه الشر، فأحيانا البستاني قد يقتضي منه قص شجرة، وهذه الأخيرة زاد طولها وعرضها وخربت المنزل مثلا يعتبر فعله هذا خيرا رغم أنه فساد.

وكذلك عرفه جلال الدين سعيد بأن «الشر ضد الخير وهو كل ما يكون موضوعا للتأنيب والتوبيخ، وعلى حين يطلق الخير على الوجود أو على حصول كل شيء على كماله فإن الشر يطلق على العدم أو على النقصان كل شيء من كماله.»[1] أي أن الخير يطلق على الأشياء الكاملة والأمور الكاملة التي لا نقصان فيها، في حين أن الشر يطلق على الأمور الناقصة والغير كاملة، والتي فيها عيب.

إذن فقد تشكلت مشكلة الشر، والبحث عن سبب وجود الشر في العالم، وكيف يمكننا الثقة بين وجود الشر والخير في آن واحد، من جهة ووجود الاله من جهة أخرى حيث يقول ألبير كامو camus «إن ما يجعلنا نغتاظ ليس عذاب الطفل وانما كون هذا العذاب لا يقوم على أي مبرر»[2] فما دام هناك إله لماذا يوجد الشر، فالمفروض أن الاله رمز للخير ولا يجتمع الخير والشر فيعتبر هذا تناقضا.

يقول ديمقريدس Démocrite«إننا نبحث عن الخير ولا نجده، ونجد الشر من غير أن نبحث عنه»[3] يريد أن يقول بأن الشر يملأ العالم وهو أكثر نسبة من الخير وموجود في كل مكان من العالم

[1] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، 2004، ص 252

[2] المرجع نفسه، ص 253

[3] المرجع نفسه، ص 252

يقول ابيقورEpicure «لا أحد يختار الشر عن قصد، ولكن يغرينا الشر بظهوره في شكل الخير فيغيب عنا الشر الأعظم الذي سيعقبه وننخدع بذلك»[1] أي أن أحيانا الإنسان يقوم بأفعال يضنها خيرا في ظاهرها، ولكن بعد أن يقوم بها يفاجئ بنتائجها الشريرة التي تخلفت عنها هذا يعني بأن الشر مخفي خلف الخير أحيانا ويخدع الإنسان، صحيح فلو كان الشر دائما ظاهرا فلن يختاره أبدا الإنسان العاقل.

إن مفهوم الشر يختلف من فيلسوف إلى آخر ذلك لأن نظرتهم تختلف في كل مرة، فهناك من يراه من الناحية الأخلاقية، وهناك من يراه من الناحية الطبيعية واخر يراه من جانب ميتافيزيقي، ولهذا نجد اختلاف طفيف من فيلسوف لأخر حيث يقول لايبنتز Leibniz«يمكن أن ننظر إلى الشر الم لا ميتافيزيقيا وطبيعيا، وأخلاقيا فالشر الميتافيزيقي هو مجرد النقص والشر الطبيعي هو الالم والشر والاخلاق هو الخطيئة»[2] فالشر ما يلحق بنا ألم ومعاناة والخير ما يلحقنا اللذة والمنفعة، وقد نطلق على الأفعال السيئة والخطايا بأنها شر.

إذن فإن الشر تحديد مفهوم واحد لشر أمر مستحيل نوعا ما فكل فيلسوف ونظرته للعالم، إلا أن الشر ملازم للإنسان، فهو كل ما يعود للإنسان بالضر والسوء، وهو موجود مع الإنسان في العالم ولا يمكن التخلص منه بسهولة لكن يمكن تخفيف من وجوده بواسطة الخير والأفعال الخيرة لذلك يجب علينا أن نفهم ما هو الخير؟

[1] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص 252

[2] المرجع نفسه، ص 253

ثالثا: مفهوم الخير

منذ العصور القديمة، شعر الناس بأهمية هذه القيم وكانوا يسعون لتحقيق الخير وتجنب الشر، حيث أن الفلاسفة وعلماء الأخلاق درسوا القيم الأخلاقية والفضيلة منذ القديم كنوع من الكفاح المستمر ضد الشر والسعي المستمر وراء الخير. سعوا لفهم طبيعة الخير والبحث عنه، يعتبر البحث عن الخير وتحقيقه هدفا طيبا وضروريا في حياتنا، إذن ما هو الخير؟

يعرفه جميل صليبا في المعجم الفلسفي بأن «الخير اسم تفضيل كقولنا الحياة خير من الموت يدل على الحسن لذاته، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة»[1]

كذلك يمكننا تعريفه بأن «الخير هو أن يجد كل شيء كمالاته اللائقة، بينما الشر هو فقدان ذلك»[2] مرة أخرى يتضح لنا ان الشر نقص والخير كمال فالله كامل يعني أنه خير، والشيء الكامل هو خير والناقص هو شر.

يعتبر الخير مبدأ أساسي ومعيار تعتمد عليه الأخلاق حيث أن «مفهوم الخير هو الأساس الذي تبنى عليها مفاهيم الأخلاق كلها لأنه مقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والمستقبل»[3] فهو وسيلة لتمييز بين الأفعال التي يقوم بها الإنسان، فما يعود عليا بالخير فهو أخلاقي وما يعود عليا بالشر فهو غير أخلاقي ويجب اجتنابه ومحاربته والقضاء عليه في أقرب وقت.

أصبح الخير واضح بأنه كل شيء كامل و كل ما يعود علينا بالمنفعة ضوء كانت روحية ومعنوية أو مادية، كذلك فهو معيار للأخلاق ولا يمكن أن يكتمل دوره دون الشر، فتعرف الأشياء

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 548

[2] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع السابق، ص 187

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بأضدادها، و لتوضيح الفرق بينهما لابد لنا بالاستشهاد ببعض تعاريف الفلاسفة الخير وموقفهم منه، حيث يعرفه ديكارت بقوله: « الخير الأسمى هو بالتأكيد الشيء الذي نضعه هدفا لكل أعمالنا والانبساط الروحي المتولد عنه والذي نسعى إليه هو غايتنا»[1] أراد ديكارت بأن يقول أن الخير هو في وضعنا أهداف نسعى لها وبالتالي يصبح الخير غاية يجتهد الإنسان ليصل إليها ، وعندما نصل نكون بذلك حققنا الانبساط الروحي والسعادة. أي أن كل أعمالنا يجب أن تكون فيها هدف والوصول له هو الخير.

كذلك يعرفها ابن سينا بقوله: «الخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ويتم به وجوده(...) وقد يقال أيضا لما كان نافعا ومفيدا لكمالات الأشياء»[2] أي أن الوجود لا يتم إلا بواسطة الخير فالأشياء كلها محتاجة للخير لتكمل وجودها، كذلك يرى ابن سينا أن الخير يطلق كذلك على ما هو نافع ومفيد.

كذلك نضيف لهذه التعريفات تعريف اخر ينص على أن «الخير يدل على الوجود والشر على العدم فيقولون ان الوجود خير محض والعدم شر محض»[3] فهذا تعريف الميتافيزيقي لاهوتي فهو يؤمن بوجود حياة أخرى وليس العدم، والايمان بعكس ذلك يعتبر شر.

صحيح أن الخير شيء طيب يتمنى أي إنسان عاقل بلوغه، لكن تبقى مشكلة الخير تتراوح بين النسبي والمطلق، حيث لا يمكن للإنسان أن يبلغ الخير المطلق فهذا من اختصاص الله وحده، فالإنسان نسبي وبالتالي الخير الذي يملكه نسبي ولا يمكن له ان يدرك الخير المطلق.

---

[1] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص 188

[2] المرجع نفسه، ص 187

[3] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع السابق، ص 549

رابعا: مفهوم العالم

مفهوم العالم هو تصور أو فهم للكون بأكمله والمجموعة الشاملة للواقع والحقيقة المحيطة بنا. يشمل فهمنا للعالم تصوّرنا للطبيعة والكائنات الحية والبشر والأحداث والظواهر التي تحدث. يشمل أيضًا النظريات والمعتقدات والقيم التي تشكل وجهة نظرنا حول كيفية عمل العالم ومكانتنا فيه، تختلف مفاهيم العالم من شخص لآخر وتتأثر بالعوامل الثقافية والاجتماعية والدينية والفلسفية المختلفة، مفهوم العالم يعكس وجهة نظرنا الفردية والجماعية حول الواقع والشكل الذي نراه فيه. قد يكون موضوعًا للدراسة في مجالات مختلفة مثل الفلسفة والعلوم والأديان والثقافة.

إن من أهم المفاهيم التي نجدها بخصوص مفهوم العالم ما يلي:« العالم بالمعنى العام مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان أو مجموع الاسلام الطبيعية كلها من أرض و سماء(...) وكل ما سوى الله من الموجودات قديمة كانت أو حادثة، وهذه الموجودات قسمان قسم روحاني وهو عالم الأرواح والعقول وقسم جسماني وهو مجموع الموجودات المادية »[1] أي أن العالم الذي نحن فيه يتكون من شقين شق روحي وعقلي ومعنوي وميتا فيزيقي فيه ما لا يرى بالعين، وشق مادي طبيعي فيه كل الموجودات التي ترى بالعين وتلمس بالحواس.

يقول ليبنتز «إذا كنت أطلق لفظ العالم على مجموع الأشياء الموجودة فمرد ذلك إلى رغبتي في اجتناب القول إنه يمكن أن يوجد في الأزمنة والأمكنة المختلفة عدة عوالم لأن هذه العوالم لو وجدت لوجب عدها كلها عالما واحدا»[2] هو يطلق على الموجودات اسم العالم، وهو لا يتفق مع الفكرة القائلة إن لكل زمان ومكان عالم، فحسب رأيه حتى لو وجدت عوالم كثيرة تسمى عالم واحد.

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، مرجع السابق، ص 45

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

في حين أن هناك من يخالفه الرأي ويرى بأن هناك تعدد وكثرة في العوالم فكل مجموعة من الأشياء تتفق في الصفات يطلق عليها عالم وما يدعم هذا الموقف هو قول ابن سينا «يقال عالم لكل جملة موجودات متجانسة كقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل»[1] أي حسب ابن سينا هناك عدة عوالم، ومفهوم العالم لا يطلق فقط على الموجودات المادية، بل هناك عوالم ميتافيزيقيا كعالم العقول.

إذن فإن مفهوم العالم نسبي متغير بتغير إيديولوجيات الفلاسفة وانتماءاتهم، لكن ما لا خلاف فيه هو أن العالم ينشطر إلى شطرين شطر معنوي روحي وشطر مادي يعيش فيه كل الموجودات والكائنات مع بعضها البعض بوجود الإنسان الذي يحيى وسط عادات وتقاليد وأديان وأعراف وثقافات متعددة، خاضع لعلاقة التأثير والتأثر بينه وبين الأخر، كذلك إن العالم يحتوي على كل الموجودات المادية الطبيعية، فهي لا يمكن لها أن تغادر العالم، قد تغادر من العالم المادي إلى عالم روحي.

المبحث الثاني لمحة عن القديس أوغسطين:

أولا: حياته ومؤلفاته

ولد أوغسطين في تاغشت Tagasie وتعرف اليوم في سوق الأهراس في شرق الجزائر في 13 نوفمبر سنة 354، وتوفي في 14 أغسطس سنة 430 في مدينة هبون التي يطلق عليها اليوم اسم بونة في غرب تونس، كان أبوه باتريس وثنيا وأمها مونيكا مسيحية، درس أوغسطين النحو والفنون الحرة، وتعلم الخطابة في قرطاجة السنه 370، وهو ابن الحادية عشر من عمره، في سن التاسع عشر سنه 373، كما أنه قرأ كتاب لشيشرون بعنوان Hortensius فتأثر به كثيرا إذ أيقض في عقله حب الحقيقة الخالدة والحكمة الدائمة، أصبح معلما ناجحا في الخطابة في

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، مرجع السابق، ص 45

قرطاجة وفي الوقت نفسه كان يتعلم، فدرس لأرسطو، ودرس كتب الخطابة والنحو والموسيقى والحساب، أما بالنسبة لديانته فقد اعتنق المانوية وتأثر بها ووجدها مقنعة أكثر من المسيحية، أيضا تعرف على القديس أمبروزيوس، أسقف ميلانو فكان يحضر لدروسه ويتعلمها لأن القديس كان بارعا في تأويل أقوال العهد القديم للكتاب المقدس، ثم قرر والتحق بالكنيسة الكاثوليكية، كذلك قرا رسائل القديس بولس في العهد الجديد، وهكذا إلى غاية أن وقع أوغسطين في أزمة روحية مزقت نفسه بين إرادة الخير وإرادة الشر بين مطالب الروح ومطالب الجسد فأصبح مضطربا بين هذا وذاك.[1]

كان أوغسطين منغمس في ضلاله ومتغافل عن تعاليم الدين المسيحي ومتباطئ في العبادات المسيحية لكن أمه كانت دائما تدعوه إلى العودة ولم تفقد ثقتها بالله بأن يرجع ابنها إلى الطريق الحق لكنه كان يسعى إلى التعلم والعمل فقد أقبل على فتح معهد للتدريس الخطابة وفن الكلام كانوا يتناقشون في مختلف المواضيع وكانت بينهما ثقة متبادلة وبعد ابتعاده عن المسيحية عاد مرة أخرى إليها بعد أن سافر إلى ميلانو واقترب من الكهنة ورجال الدين الكبار ، إن حياة أوغسطين ليست حياة عادية فهي حياة المتميزين لأنها مليئة بالتغيرات والمحطات والتعثرات والصراع الذاتي بينه وبين نفسه وبين الخير الذي يريد أن يقوم به والشر الذي يسحبه سحب له، وأيضا صراع الخارجي بينه وبين المجتمع وتعاليم الدين المسيحي التي فرضها الواقع عليه.

يعتبر أوغسطين كاتب ومؤلف قدير عدة أعمال ومؤلفات أثرت كثيرا في الفكر الفلسفي عالمي واللاهوت المسيحي، فهو يمثل مرجعية مهمة لمن أراد التعرف على تاريخ المسيحية ولعل أهم مصادره كتب الاعترافات وكتب مدينة الله والرسائل، حيث أن كتاب الاعترافات من اشهر الكتب في العقد القديم فما زال إلى يومنا هذا الفلاسفة والمفكرين يحللونه ويدرسونه ويحاولون قراءة أفكار

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 248 ص247

هذا القديس« تشتمل الاعترافات على 13 كتابا كتبه سنه 400 م وفيه السيرة حياته ومسار فكره وطريقة رجوعه إلى الله»[1] أي أنه في كتب الاعترافات يعترف بالكثير من الحقائق التي عاشها طيلة حياته وأهم المحطات التي توقف عندها واهتم بها منها كيف كان في حياة المجون وانتقل إلى حياة الزهد، واهم الأفكار التي كانت تراوده في هذه المحطات.

مؤلفه الثاني والذي يعتبر من أهم مؤلفات السياسة والدولة والتاريخ مؤلف مدينة الله «كتبها أوغسطين في حقبة مأساوية من تاريخ أوروبا ذلك أن روما سقطت في سنة 410م بيد البربر(...) جاء عملا فخما في قسمين من اثنتين وعشرين مقالة، ويحتوي على الكثير من أرائه السياسية والاجتماعية ولا سيما فلسفته التاريخية»[2]

والمؤلف الثالث هو الرسائل التي تركها أوغسطين وتنقسم إلى مجموعتين المجموعة الأولى كتب في الرد على المخالفين وتحتوي على الرد على الأريوسيين، أيضا كتب ضد ماني وهي ثماني كتب، وكتابات ضد الدوناتست وتضم ثلاث كتب وأخيرا كتب ضد البلاجيين وفيها كتاب ثلاث عشر كتاب، أما المجموعة الثانية فهي كتب في العقائد وتضم العقائد المسيحية حيث كتب أوغسطين ثلاث كتب في العقيدة المسيحية بالإضافة إلى بحوث عقائدية ألف فيها سبع كتب، وأيضا في عمل على تفسير الكتاب المقدس ألف فيه ستة كتب.[3]

ثانيا: المرجعية الفكرية والفلسفية للقديس أوغسطين

مما لا شك فيه بأن فلسفة القديس أوغسطين فلسفة عميقة ممتدة في الفكر الغربي، لكن لم تشكل دفعة واحدة بل مرت على مجموعة من المراحل التي كونت فكره، ويعتبر القديس أوغسطين

1 الياس عبد الله دكار، أوغسطين تاغشت الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي، مجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مجلد5، العدد9، أكتوبر 2020، الجزائر، ص 33-53

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 المرجع نفسه، الصفحة تفسها.

واحدا من أبرز الآباء الروحيين والفلاسفة في الفلسفة المسيحية، وقد أصبح شخصية مركزية في العقيدة المسيحية وتاريخ الفكر الغربي بشكل عام. وما زال لقبه مهما في الفكر الغربي حتى يومنا هذا، لذلك يجب علينا التركيز على أهم التوجهات التي صاغت فكر أوغسطين، ونسلط الضوء على هذه التوجهات لتوضيح كيف تأثر وتكون فكر القديس أوغسطين.

إن أول محطة تأثر بها القديس أوغسطين هو الكتاب المقدس حيث «تناول الكتاب المقدس وهو في التاسعة عشرة فلم يجد فيه مبتغاه إذ بد له أسلوب الكتاب غامضا، وصدمته المفاهيم التشبيهية في العهد القديم(...) قال عن الكنيسة إنها سياسية وفيها سذاجة، أو بساطة عقل أما تعاليمها فأشبه بقصص امرأة عجوز، ثم هي قاهرة وسلطوية»[1] أول ما بدأ به أوغسطين حياته الفكرية هو نقده للمسيحية وعدم اقتناعه بها رغم أنه مسيحي إلا أنها كانت بالنسبة له سطحية وساذجة ولا يمكن للإنسان عاقل تصديقها مع العلم أنه في هذه الفترة كان منغمسا في تلبية رغباته وفي حياة المجون، فهذه الظروف من الأسباب التي جعلته ينتقد المسيحية ولا يؤمن بها.

المحطة الثانية التي تركت اثرا في فلسفة أوغسطين المانوية، حيث اعتنق المانوية تسع سنوات، اعتنقها لأنها كانت أكثر عقلانية من المسيحية حيث أن المانويون يعتمدون على البراهين العقلية من الكتاب المقدس ويهزأن من القصص الواردة عن الأنبياء، كما أنهم كانوا يلجؤون في بحوثهم للعقل والأدلة المنطقية وليس الإيمان، كما كانت تقاليدهم الأخلاقية توحي بثقة والاطمئنان، ولهذا تعلق بها أوغسطين، أخذ من المانوية منهجهم ومبدان الموجهان للعالم، واعتبر الله جسما منيرا والنفس جسما لطيفا، وعدم جواز قتل الحيوان...الخ ، واستمر في هذه الديانة إلى غاية مناقشته مع **لفاوستوس** الذي ظهر عليه نقص العلم وضعف البراهين فكان غير مقنع لعقل وفطنة

[1] جونو وبوجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، ترجمة: علي زيغود، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د.ط، 1993، ص 278

أوغسطين، ليعود مرة أخرى وينتقد المانوية بأنها غير عقلانية، وغير جديرة بالاتباع حيث قال أن العقل هو الذي دفعه للاهتداء إليها وأن العقل هو ما أبعده عنها ودفعه لتركها.[1]

بالنسبة للمحطة الثالثة الفلسفية وبالتحديد في مبحث المعرفة تأثر بمذهب الشك بعد أن قرأ محاورة **هورتنسيوس** التي طالعها بشغف فقد جعلت هو يبحث عن الحقيقة والحكمة كما انها قربته أكثر وأكثر من الفلسفة فيقول «ألهبت محاورة هورتنسيوس في نفسي حبا جما للفلسفة والحكمة، فقررت أن أكرس حياتي لتحصيلهما»[2]

وجد أوغسطين في الفلسفة راحة أكثر من الديانة المانوية فالفلسفة أكثر حكمة وعقلانية ويقول أوغسطين في هذا« لم أفد شيئا من الكتب الفلسفية العالمية لكني شعرت بقوة تأمرني للقبول بمضمونها دون أن يكون هذا الإيمان متفقا والحسابات القانونية التي اثبتتها عيناي وما أشد التباين بينهما»[3] فصوت العقل ينادي أوغسطين نحو الفلسفة، أي أنه يعترف بالطابع العقلاني المقنع الموجود في الكتب الفلسفية التي اعتبره غائبا في المانوية ولهذا اهتم بكتب **شيشرون** ، فبعد أن قرأ مؤلفاته تأثر بمذهب الشك، فذلك ما جعل فكرة الشك تكبر في عقل أوغسطين، مع العلم أنه كان ذو مذهب شكي منذ البداية والدليل على ذلك هو نقده للمسيحية، والشك تجاه عقائدها وأيضا نقده للمانوية، شخصية أوغسطين شكاكة منذ البداية وما عزز شكه أكثر فاكثر الكتب الفلسفية التي تطلع عليها ودرسها.

لقد تأثر بالفلاسفة الشكاك يقول «ولدت لدي حينئذ قناعة مفادها أن فلاسفة الأكاديمية الجديدة هم الأكثر فطنة من بين جميع الفلاسفة إذ إنهم يعتقدون أن كل شيء إنما هو موضوع

[1] جاريث ماثيوز، أوغسطين، تر: أيمن فؤاد زهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 33

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أغوسطينوس، اعترافات القديس أغوسطينوس، تعريب: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط4، 1986، ص81

الشك وأن إدراك حقيقة الأشياء أمر يتجاوز قدرة البشر»[1] أوغسطين لم يتأثر فقط بمذهب الشك وفلاسفة الشك بل نقدهم وقام بالرد عليهم فمن مؤلفاته نجد "الرد على الأكاديميين" وخلص إلى نتيجة مفادها «أن ثمة أشياء يمكن معرفتها في يقظتنا وأحلامنا سواء بسواء وأبلغ شاهد على ذلك أننا نعرف بديهيات المنطق، ومسلمات الرياضيات، ونعرف أيضا عالمنا الظاهر والأشياء كنا تبدو لنا»[2]

تأثر أوغسطين أيضا بالأفلاطونية المحدثة، وذلك بارز في أهم أفكاره، تؤكد النصوص على أن الأفلاطونية مرتبطة بالمسيحية وحاول العديد من الفلاسفة جمع التعاليم الروحية للأفلاطونية والمسيحية. ومن بين هؤلاء الفلاسفة القديس أوغسطين، حيث قرأ كتب الأفلاطونية المحدثة وعبر عن إعجابه بها. ورغم عدم ذكر أسماء الفلاسفة الذين أثروا فيه إلى حد الإعجاب، يشهد النص أن أفلاطون وأفكاره كانت العامل الأساسي الذي أثار عاطفته وإعجابه. واعتقد أوغسطين أن الأفلاطونية المحدثة تتوافق تمامًا مع العقائد المسيحية بعد أن تنقحت وتم تعديلها لتتلاءم مع الفكر المسيحي. فالفائدة الأساسية من دراسة الجانب الروحي هي تعزيز التوازن والتنمية الروحية في حياة الفرد.[3]

وها نحن ذا في المحطة الأخيرة التي وصل إليها القديس أوغسطين، حيث يقول بأنه وجد في الأفلاطونية المحدثة ما كان يبحث عنه منذ البدء ووجدها أيضا أنها تتفق مع المسيحية هذا ما دفعه إلى التعلق بها والأخذ منها والتغيير فيها ليخرج لنا في النهاية بالأفلاطونية المسيحية لأنه «كان يتلهف على بلوغ اليقين وعلى الاستقرار عند حقيقة يطمئن إليها»[4] هذا يعني أنه وصل إلى

---

[1] جاريث ماثيوز، أوغسطين، مرجع سابق، ص 33

[2] المرجع نفسه، ص 42

3 مزواد نسيبة، فلسفة الحضارة عند القديس أوغسطين، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، 2012/2011، ص 18

[4] جونو وبوجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، مرجع سابق، ص 289

بر الأمان واستسلم للدين المسيحي الأفلاطوني بعد رحلة طويلة استغرقت منه حياته بأكملها باحثا عن ذاته وعن وجوده و الاله وعن العالم كل هذه الأسئلة التي كانت تراود ذهنه توصل لها عندما قرأ للأفلاطونية لكنه أضاف عليها صبغته وصبغة التعاليم المسيحية.

يبدو أن فكرة وفلسفة القديس أوغسطين ثرية بثراء مؤلفاته وأعماله، وأيضا بثراء المراحل التي مر عليها والمحطات التي أثرت وكونت فكر اللاهوتي الفلسفي، فرغم أنه تهرب في بداية من الديانة المسيحية إلا أنه وجد نفسه عاد لها مرة أخرى في أواخر حياته، فهو دليل على تأثيرها القوي الذي سوف نلمسه في فلسفته والمواضيع التي اهتم بها وبحث عنها ولعل أهمها صراعه بين الخير والشر وكذلك صراعه من أجل إثبات وجود الله إذن ماهي أهم افكاره وملامح فلسفته.

المبحث الثالث: ملامح فلسفة القديس أوغسطين

إن فلسفة القديس أوغسطين شملت موضوعات وقضايا فلسفية كثيرة ومتعددة فقط تحدث عن المعرفة والأخلاق والسياسة والإله والعالم ومشكلة الشر والخير وغيرها من الأسئلة التي راودته طيلة مشواره الفلسفي، لذلك اخترنا أهم القضايا الفلسفية عنده وهي مشكلة الشر لكن قبل ذلك لابد أن نتحدث عن أهم ملامح هذه الفلسفة ليتسنى لنا فهم المشكلة المراد دراستها ومن أهم هذه الملامح هي رؤية القديس أوغسطين للخير أيضا الدليل الانطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله، فلسفة القديس أوغسطين وليدة الفلسفة المسيحية التي «تهتم بالعمل والخلاص لهذا كان البحث عن السعادة الهدف الذي سعى إليه القديس أوغسطين والسعادة التي بحث عنها أوغسطين هي السعادة نحو الله »[1] وكان يرى أوغسطين أن السبيل الوحيد لهذه السعادة هو الله، فعندما كان غارق في حياة المجون لم يجد سعادته وهذا ما جعله يترك كل تلك الأمور ويتجه نحو التقرب من الحقيقة والله، ولهذا نجده اهتم بالخير والسعادة فهما نتيجة الاقتراب من عبادة الله ومعرفته الحقة،

[1] كامل محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ط، ص 36

فهذا هو منطلق القديس أوغسطين، أي أن أول ما انطلق منه في الفلسفة هو السعادة والخير وسبيل الحصول عليهما وامتلاكهما لذلك لابد لنا أن نتعرف جيدا عن الخير عند ودليله الأنطولوجي في إثبات وجود الله

أولا: الخير عند القديس أوغسطين

لقد سبق وعرفنا مفهوم الخير في البداية حيث استنتجنا بأن الخير هو الكمال وبأنه هو المعيار الأخلاقي وقد وجدنا عدة اختلافات في التعاريف عند الفلاسفة فمنهم من يراه بأنه الخير الأسمى وهناك من يراه بأنه هو كل نافع ومفيد وهناك من يعتقد بأنه مجرد اسم تفضيل وكذلك يوجد من ربطه بالرغبة الإنسانية، فكل ما رغب فيه الإنسان فهو خير وكل ما لا يرغبه الإنسان فهو الشر فقط تم تعريفه أيضا بأن الخير هو الوجود والشر هو العدم، هذه التعريفات في كفة ورؤية القديس أوغسطين للخير في كفة أخرى، يرى «بأن الوجود هو الخير وأن الخير هو الوجود وأن الشر ليس له وجود ايجابي بل سلبي فهو عدم الخير، أي هو نقص الخير»[1] فالخير هو الوجود كله وجود له وهو عبارة عن عدم الخير فهو يرى أن الله هو موجد الخير أما الشر مصدره اختيار وإرادة الإنسان.

إن حسب رأيه أن «الله خلق الكائنات العاقلة خيرة بما في ذلك الشيطان، واعطاه حرية الإرادة والمخلوقات الحرة، الإرادة هي المسؤولة عن كيفية استعمالها لحريتها»[2] أي أن الله خلق الناس جميعا ومخلوقاته بصفة الخير وأعطى لهم القدرة على الاختيار والحرية في الاختيار والإرادة الكاملة فهم يقررون الخير أو الشر فالله لا يخلق إلا الخير وليس مسؤول عن اختياراتهم.

[1] الكامل محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، مرجع سابق، ص39

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يقول أوغسطين في كتابه الاعترافات «...حياة العبث والمرح ولم أفقه معنى كلامي لأني كنت جاهلا وما أدركت أن الشر لا يمكن أن يكون جوهرا وإن عقلنا خير أسمى لا يتغير»[1] بعد ان كان منغمسا في حياته كان يعتقد بأن الشر مخلوق مع الإنسان، لكن عندما نضج عقله أدرك بأن الشر ليس جوهرا في الإنسان ويمكن له أن يتغير يرى أن ليس جوهرا وأن العقل هو الجوهر والحكمة وهو الخير الأسمى الذي رزقنا الله به، فطبيعة العقول خيرة، والإنسان هو الذي يشق طريقه بمحض إرادته.

يرى القديس أوغسطين بأن الإنسان مركب من نفس وجسد، إلا أنه يفضل نفس على الجسد فالنفس هي خيرة ،بينما الجسد يصيبه الشر كثيرا حيث يقول: «أوغسطين ما دمنا مركبين من نفس وجسد فالنفس هي الجزء الأفضل والجسد هو الأقل خيرا، الخير الأسمى هو أفضل خير فينا، علما بأن الخير الأعظم للنفس هي الحكمة والشر الأكبر للجسد هو الألم، وينتج عن ذلك أن خير الإنسان الأسمى الحكمة وشره الأسوء الألم»[2] أي أن الجسد فاني فهو خير أقل من النفس التي هي خالدة، والخير الأسمى للنفس هي الحكمة والفلسفة، وهكذا يصبح الإنسان وسيط الألم الذي يصيب الجسد والحكمة التي تمتلكها النفس.

إن ما يعتقده القديس هو أن الخير موجود بفعل من الله وهو موجود إلى غاية فناء العالم والحياة لأنه طبيعة إلهيه، «الخير هو القانون الإلهي الأبدي أي النظام العام الصادر عن الله فهو مطابقة هذا النظام واحترام القانون او مبدأ الطبيعة»[3]إن الله أنزل القانون الإلهي وجعله مبدأ أساسي في الطبيعة بمقابل نظام الطبيعة، فلا تستقيم الطبيعة بدون الخير.

---

[1] أغوسطينوس، اعترافات القديس أغوسطينوس، مرجع سابق، ص 73

[2] القديس أغوسطينس، محاورة الذات، تعريب: الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2005، ص 34

[3] كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مجلة: مينيرفا، مجلد5، العدد2، فيفري 2021، الجزائر، ص14

فحسب نظر القديس أوغسطين فإن الله هو الوجود المحض والخير الأسمى والخير كله وكل الموجودات خير والطبيعة خير فلا مجال للشر «كل ما يوجد في الكون فهو خير وكل الطبيعة خير وكل خير مصدره هو الله لذلك فإن اللاوجود أو العدم هو الشر»[1] معنى هذا أن كل ما يوجد في العالم فهو خير، ويمثل الخير الوجود في حين أن الشر عدم وكل ما هو عدم هو شر.

ربط القديس أوغسطين الموجودات بقيمة الخير والشر فكلما كانت الموجودات أكثر كمالا كانت خيرا والعكس صحيح حيث إن« الموجود في نظر أوغسطين ثلاثة كمالات (التناسب، الصورة، النظام) وبحسب نصيبها من هذه الكمالات سواء كانت الكائنات جسمانية أم روحية تكون مرتبتها في الخير »[2] وضع أوغسطين ثلاث معايير يقيس بها الخير الموجود في المخلوقات فإن كل الموجودات سواء كانت مادية أو روحية فهي تملك نسبة من هذه المعايير الكمالية فكلمة ما زادت الكمالات كانت الموجودات أكثر خيرا وكل ما قلة نسبة الكمال نقص الخير فيها وابتعدت عنه واقتربت من الشر أكثر.

إذا ربط أوغسطين الخير بالإله مصدر متعالي وربط الشر بإرادة الإنسان فهو الذي يختار طريقه وله كامل الحرية في اختيار الشر وترك الخير الذي فطر عليه «إن حرية الإرادة إذا نظر إليها في ذاتها أمر حسن إنما سوء استعمال هذه الحرية هو الذي يجلبها إلى الشر»[3] فالإرادة الخيرة موجودة في كل إنسان ولديه كامل الحرية في تركها واتباع الشر، فاستعمال وتوظيف الحرية هو الذي يحدد قيمتها.

فالإنسان خلق بطبيعة إنسانية خيرة وجدت معه صفات أخرى سيئة فيضعف الإنسان تجاه تلك الصفات السيئة وينغمس في تلك الأخطاء والخطايا والله وحده هو القادر على مساعدته

[1] كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مرجع سابق، ص 14.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 252

وتخليصه من الخطايا حيث أن «حصول الإنسان على اللطف الإلهي شرط ضروري لنجاته، ولا يناله الإنسان بأعماله وإلا لما كان فضلا ولطفا إلهيا بل جزاء وفاقا.»[1]

إذن فإن الخير مصدره الله، ولا يخلق الله إلا الطبيعة الخيرة والإنسان هو الذي يختار بناء على حريته التي وهبها الله له افعاله الشريرة والخيرة، والخير رمز للكمال وكلما كان الموجود كاملا كان خيرا لكن حسب رأينا وكتعقيب كيف يمكن لنا أن نحدد الكمال ونحن أناس ومخلوقات ناقصون ولا يمكن لنا إدراك الكمال المطلق.

إن رؤية القديس في الخير تنص على أن الموجودات هي الخير، وتمتلك الإرادة الخيرة والحرية التي أودعها الله فيه، دون نقص وفي حالة حدوث نقص فهو شر، وكل موجود ورغبته في الخير والشر ولابد من موجود أن يتغلب عن النقص بالكمال عن طريق تقربه من الله وطاعته واللطف الإلهي الذي هو السبيل للنجاة من الشر والسؤال المطروح هنا هو ما دام الخير من عند الله والشر من عند أنفسنا كيف نثبت وجود الله وكيف استطاع أوغسطين أن يثبت وجود الاله؟

ثانيا: الدليل الأنطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله

إن القديس أوغسطين فيلسوف لاهوتي حاول جاهدا الوصول إلى الحقيقة والمنهج الصحيح لبناء الأخلاق والدين الصحيح، كما أنه كان متعلق شديد التعلق بالإله المسيح وقد كان يقول فيه كلام شعري يعبر به عن حبه واخلاصه له كما يعبر عن شكره له لأنه نجاه من الظلال، كما يرى أوغسطين أن السبيل الوحيد نحو الحقيقة هي التقوى والإيمان بالمسيح فهو الحقيقة الكلية التي ليس بعدها حقيقة، كما أن أوغسطين اتجه نحو الميتافيزيقا من أجل إثبات وجود الإله مستخدما الدليل الحدسي.

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 252.

يعتقد أوغسطين أن الله هو الوجود المطلق وموجود في كل زمان ومكان، فهو الوجود ذاته وكل الكائنات تستمد وجودها من عنده فهو مصدر الوجود وجود الموجودات، حيث يقول أوغسطين في كتابه الاعترافات «كيف أدعو إلهي! إلهي وربي؟ أدعوه وأسأله أن يأتي إلي! وأي موضع في يتسع له! أي موضع يتسع لله خالق السماوات والأرض ربي وإلهي، ألدي موضع يتسع لك(...) ألان كل موجود عدم دونك يتسع لك إذا ولما أنا الموجود، ولا كيان لي بدونك، أسألك أن تأتي إلي انا لم أصل إلى الجحيم أما انت فموجود فيها، لو قدر لي أن أهبط إلى الجحيم لوجدتك هناك»[1] أي أن الله وجوده مطلق وفي كل مكان من الكون ومن العالم الأخر ، هو كل الوجود وكل موجود فهو بفضل الله ولا وجود له دون الله، يمكننا القول بأن أوغسطين متصوف وتوصل إلى درجة الحلول في ماهية الله.

«فالله موجود في كل مكان إنه الوجود المطلق أو الوجود المحض الذي لا يتخلله عدم خلافا للمخلوقات القابلة للفساد»[2] فالله كامل وهو الوجود الكلي والخير الكلي وهو غير المخلوقات التي فيها نقص وعدم.

كذلك فإن أوغسطين ينفي فكرة وحدة الوجود فالله ليس الطبيعة والطبيعة ليست الله بل هو خالقها حيث يقول:« وسألت الأرض فقالت لي لست إلهك(...) سألت البحر وأغواره والكائنات الحية التي تسرح فيه وتمرح فأجابني لسنا إلهك، بحثت عنه في الأعالي وسألت رياح الجو فأجابتني مملكة الهواء وكل ما فيها أجابني(...) لسنا إلهك، سألت السماء والشمس والقمر والنجوم فأجابت كلها لسنا الإله الذي تبحث عنه، أنذاك قلت للكائنات كلها التي تحيط بأبواب حواسي:

[1] أغوسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، مرجع سابق، ص 8

2 كحول سعودي، الدليل الأنطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله عند القديس أوغسطين، حوليات جامعة قالمة، العدد20، 2017، ص 643.

حدثيني عن إلهي، قولي لي شيئا عنه، فتهفت جميعها بصوتها القوي خالقنا»[1] يريد أن يقول أوغسطين بكلامه الشعري هذا بأن الإله واحد وليس هو الطبيعة فالطبيعة خلقها هو وهي تحت سلطته، فوجود الله أعظم من كل الموجودات، لكن كلامه هذا خيالي وشعري وتصوفي فالإنسان لن يتمكن من التحدث مع الطبيعة ولا الطبيعة تستطيع أن تجيب عنه.

حاول القديس أوغسطين أن يتطلع على كتب الفلاسفة ويبحث عن أدلة تثبت وجود الله لكنه فشل في ايجادها في كتبهم حيث أن القديس أوغسطين «استخدم الأدلة الكلاسيكية في إثبات وجود الله والمستمدة عموما في البرهان البعدي كالعلية والغائية، لكن اهتمامه بالدليل القبلي كان فوق كل البراهين فاعتبر وجود الله حقيقة إيمانية بديهية وقبلية بالدرجة الأولى»[2] أي أن وجود الله لا يحتاج إلى دليل ملموس بل هو حقيقة إيمانية بديهية لا يمكن انكارها.

كما قلنا فيما سبق بأن أوغسطين متأثر بالتيار الأفلاطوني وما يثبت ذلك أيضا هو استخدام المنهج الجدلي لأفلاطون في دليله الحدسي حيث أنه «بدأ دليله الحدسي بفكرة الصعود نحو الله انطلاقا من الدرجات ثلاث الأولى للمعرفة وهي الحواس الخارجية والحس الداخلي والعقل، وصولا بعد ذلك إلى ما هو فوق العقل والأعلى من العقل هو الحكمة الإلهية المطلقة ومنه إثبات وجود الله بحكم البداهة»[3]. أي أن درجات المعرفة ثلاث الحواس ثم العقل ثم الحكمة الإلهية وهي تكون دليل إثبات وجود الله بالبداهة، فما دام العقل موجود بالبداهة فالله أيضا الدليل على وجوده هو البداهة، وبما أن أعظم ما في الوجود هو العقل فإن وجود ما هو أسمى منه لكان الله.

فقد استعمل أوغسطين الجدل الصاعد والنازل بين الموجودات والمحسوسات التي ندركها بالحواس وحكمة الإلهية ويبقى الإنسان في صراع بين الحكمة والظلال، وبتالي لإدراك الحقيقة

[1] أغوسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، مرجع سابق، ص 198

[2] كحول سعودي، الدليل الأنطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله عند القديس أوغسطين، مرجع سابق، صفحة 645

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكلية لابد للإنسان من التقرب إلى الله وبالتالي يصعد درجات نحو الأعلى ويقترب من الحكمة الإلهية، أي أن الله فوق العقل حيث أن القول بوجود ما فوق العقل وهو الله وحده، فإذا اكتشفنا أسمى وأفضل من الجزء الأكثر تميزا في طبيعتنا البشرية أين يكون العقل أدنى منه فإننا لا نتردد حينها في أن نسميه الله، إن الله هو الخالد والدائم والثابت بينما الأجسام متغيرة، وحتى العقل نفسه يتصف بالتغير»[1] يرى أوغسطين أن العقل أسمى ما في الموجودات وإن وجد شيئا أعظم من العقل فهو الله.

إن آخر مرحلة من الدليل الأوغسطيني حول حدس الله وإثبات وجوده انطلاقا من الحقائق الأزلية، وهذا حسب مبدأ النظام، حيث يوجد العقل في أعلى هذا العالم الحسي وفوق العقل حقيقة خالدة، أزلية وثابتة تدرك بلا وسائط من الحواس، وهي وجود الله، والتطبيق الأخير لمبدأ الانتظام يعني إثبات وجود هذه الحقيقة بواسطة قوانين الأعداد وقواعد الحكمة مجتمعة بالحقيقة الثابتة أي العالم الحسي مجتمع بالعالم الروحي، لاستنباط حكم دقيق لا يعتريه أي شك، وهو الله، ويفرق أوغسطين بين الحقائق المشتركة الأزلية وحقائق أزلية بذاتها.[2]

وفي النهاية إن الدليل على إثبات وجود الله عند القديس أوغسطين هو دليل الأنطولوجي مرتبط بالحدس والبداهة، لأن الإنسان يمكن له إثبات وجود الله بواسطة الحدس، وكما يرى أوغسطين أن أعلى مرتبة لموجود في العالم هو العقل وما فوقه هو حقيقة الإلهية لا اختلاف ولا شك فيها ولمعرفة الله أكثر وأكثر لابد للإنسان من التقرب نحو الحكمة واستعمال العقل، فالله هو الحقيقة المطلقة الكلية الذي لا حقيقة بعده.

[1] كحول سعودي، الدليل الأنطولوجي وقيمة الحدس في إثبات وجود الله عند القديس أوغسطين، مرجع سابق، ص 647

[2] المرجع نفسه، ص 650

خلاصة:

القديس أوغسطين فيلسوف مسيحي لاهوتي متصوف، اهتم بفهم الوجود والموجودات والعالم بصفة عامة، كذلك حاول إثبات وجود الله بواسطة البداهة والحدس، فبالنسبة له وجود الله أمر يقيني ولا شك فيه، كذلك يرى أن الوجود الأعظم هو الله والحقيقة المطلقة هي الله، وكل الموجودات بما فيها الخير، هي من عند الله، والسبيل الوحيد لمعرفة الله هو التقوى والحكمة التي بالأساس هي مصدر العقل، فالعقل وسيلة لبلوغ الحكمة.

الفصل الثاني

الشر عند القديس أوغسطين

تمهيد

المبحث الأول: المفهوم المعياري لمشكلة الشر

المبحث الثاني: مدينة الله عند القديس أوغسطين

المبحث الثالث: الشر الأخلاقي بين الوجود واللاوجود

الفصل الثاني: فلسفة الشر عند أوغسطين

تمهيد

تعتبر مشكلة الشر في العالم، قضية شغلت الفكر الفلسفي اللاهوتي منذ القديم مع العصر اليوناني مرورا إلى فلاسفة العصر الوسيط إلى غاية يومنا هذا، عن مصدر وسبب الشرور في العالم، وقد اهتم الفيلسوف القديس أوغسطين بمشكلة الشر في العالم، وبحث عن حل لهذه المشكلة وعن ماهية الشر الموجود في الكون وأيضا عن مصدر هذه الشرور والخطايا المنتشرة وبين الناس، كذلك تم ربطها مع قضية وجودية تدور حول وجود الله الذي يعتبره أوغسطين أنه الخير الأسمى، كيف يعقل أن يكون الله ذو الصفة الكمالية ويوجد الشر في العالم، إذن ما المفهوم المعياري لمشكلة الشر في العالم حسب أوغسطين ؟ كذلك ما أصل الشر ومصدره؟

المبحث الأول: المفهوم المعياري لمشكلة الشر

إن مشكلة الشر تعتبر من المشاكل الأخلاقية والدينية والفلسفية التي تثير فينا الدهشة والقلق الفلسفي منذ القديم، حول وجود الله مع وجود الشر في عالم واحد وبما أن الله موجود، ولذلك حاول القديس أوغسطين أن ان يناقش هذه المعضلة الوجودية ولقد وضع مفهوم المعياري لمشكلة الشر فلماذا الشر موجود وهل الله يخلق الشر؟

أولا: مفهوم المعيار norme

إن كلمة المعيار نسمعها كثيرا في الميدان العلمي وأيضا في الميدان الفلسفي فالمعيار كل «ما يتصل بمفهوم القيمة (...) للمعيار ميزة تتجلى في جميع معاني الموصل الأعلى أو الأنموذج أو الهدف»[1] إن المعيار له علاقة بقيمة الشيء كذلك قد تستعمل القيمة والمعيار وسيلة لفهم مفهوم ما أو قيمة ما المعيار عند منطقيين «نموذج مشخص أو مقياس مجرد، كما ينبغي أن يكون عليه الشيء ويرادفه العيار، وهو ما جعل قياسا ونظاما للشيء والقاعدة وهي القضية الكلية المنطقية على جميع جزيئاتها»[2] يمثل المعيار المقياس الذي يجب أن يبلغه الشيء ويمثل الأساس والقضية الكلية التي يجب ان يكون عليها الشيء كذلك فهو الذي يجمع جزيئات الشيء.

أما بالنسبة للمعيار في الميدان الأخلاقي يعتبر «هو النموذج المثالي الذي تقاس به معاني الخير»[3] إذا فإن المعيار هو الوسيلة التي نقيس بها قيمة الأخلاق، ونطلق على الشيء أنه خير أو شر بالنسبة للمفهوم المعياري فيعني «المنسوب إلى المعيار ومنه العلوم المعيارية وهي عند

[1] عبد الكريم بلبل، مدخل الى الفلسفة، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، 2018، د. ط، ص 167

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق، ص 399

[3] المرجع نفسه، ص 400

ووندت العلوم التي تهدف إلى صواغ القواعد والنماذج الضرورية لتحديد قيم المنطق والأخلاق وعلم الجمال»[1] يعني هذا أن هناك بعض العلوم المعيارية التي تطلق لنا مفاهيم معيارية ومن أهم هذه العلوم نجد علم المنطق والأخلاق وعلم الجمال حيث أن القديس أوغسطين قدم لنا مفهوما معياريا للأخلاق عامة ومشكلة الشر خاصة.

لذلك في علم الاخلاق يعرفه ابراهيم مذكور بأنه «نموذج السلوك الحسن وقاعدة العمل السديد»[2] أي أنه هو المقياس الذي نقيس به أعمالنا الخيرة وسلوكياتنا الحسنة فهو الذي يخبرنا إن كان فعلنا هذا حسن أو سيء وبالتالي ندرك انه علينا اجتنابه او القيام به.

لقد أضاف إبراهيم بقوله إنه «نموذج أو مقياس مادي أو معنوي، لما ينبغي أن يكون عليه الشيء»[3] يمكن القول بأنه الحد الأمثل الذي يمكن للشيء بلوغه وعند بلوغه يكون الشيء في أكمل حالته أي أن بواسطة المعيار يمكن لنا أن نتوقع ما يجب أن يكون عليه الفعل والسلوك الإنساني، لذلك حاول القديس أوغسطين أن يضع مفهوما معياريا لفهمه معضلة الخير والشر ووجود الله.

إن ما يهمنا هنا هو المفهوم المعياري لمشكلة الشر في العالم القديس أوغسطين ورؤيته الفلسفية والدينية لها، إذن فيما تمثلت مشكلة الشر في العالم من وجهة نظر أوغسطين؟ وما هو المفهوم المعياري لهذه المعضلة؟ تمثلت مشكلة الشر في محاولة التوفيق بين عناية الله ووجود الشر في الكون وقد عنى بها خاصة ابن سينا في تاريخ المتوسط وليبنتز في تاريخ الحديث» أي

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق، ص 400

[2] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1979، د، ط، ص 188

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

أن مشكلة الشر قائمة على حل معضلة وجود الشر في العالم رغم وجود الله الذي هو رمز لكل خير وطيب وكيف لله أن يخلق الشر في العالم وكيف للخير أن ينبثق منه الشر.

ثانيا الشر عند القديس أوغسطين :

لقد سبق وعرفنا مفهوم الخير عند أوغسطين في الفصل الأول حيث قلنا بأنه الخير والكمال والكلية ومصدره إلهي وأن الله لا يخلق سوى كل شيء طيب، أيضا وجدنا أن الخير عند أوغسطين عبارة عن الوجود نفسه، بعد ذلك قمنا بالتطرق إلى أدلة وجود الله عند أوغسطين وكان إثباته معتمد على الحدس الأنطولوجي حيث أن الله موجود بالبداهة، وهو أسمى ما في الوجود كذلك يقر أوغسطين بأن العقل هو أعلى درجة في الموجودات وبالتالي إذا وجد شيء أسمى من العقل فهو الله وحده، هكذا أصبح إثبات وجود الله بالبداهة، لكن المشكلة التي طرحت هنا هي ما دام الله هو الاسمى وهو مصدر الخير كله من أين اتى الشر؟ وكيف يعقل أن يكون هناك إله خير وطيب ويوجد شر في هذا العالم وما موقف أوغسطين من هذه المعضلة؟

إن أوغسطين يرى أن الشر منبثق من الإنسانية وليس له أي مصدر إلهي لأن الله هو الخير ولا ينبثق منه إلا الخير والشر ما هو إلا تمتع الإنسان بالحرية التي وهبها الله له حيث يقول أوغسطين «ولما أن فرسا ضالا هو أفضل من حجر لا يضل، ما دام الحجر لا يملك من أمره حركة ولا إدراكا فإن الكائن الذي يخطئ بملء إرادته الحرة هو أفضل من الكائن الذي لا يخطئ البتة لأنه يفتقر إلى الارادة الحرة»[1] معنى هذا أن كل أخطائنا ليست صنع الله وإنما الإنسان هو الذي اختار أن يخطئ بمحض ارادته الحرة وفي نظر أوغسطين الإنسان الذي يخطئ خير من

[1] جاريث ماثيوز، أوغسطين، مرجع سابق، ص 178

الذي لا يخطئ فالأخطاء دليل على سلامة الإرادة الحرة للإنسان وبالتالي مصدر الشرور والأفعال السيئة صادر من الإنسان وحده وليس من الله فأوغسطين يبرى الله تماما.

يقول أوغسطين: «هذه هي طبيعة الشر التي كنت أبحث عنها وأتساءل حولها: من أين يأتي الشر؟ فالشر ليس جوهرا، لأنه لو كان كذلك لكان خيرا، فالشيء إما أنه جوهر غير قابل للفساد، ومن ثم يصبح خير أسمى، أو أنه جوهر فاسد، وهو لم يكن يفسد إن لم يكن فيه صلاح وبالتالي تصورت وبدا لي أنك خلقت كل الأشياء صالحة وليس هناك جوهر على الإطلاق لم توجده لذلك كل الاشياء موجودة لأنها صالحة جدا، نعم هي كذلك لأن إلهنا خلق كل شيء حسن جدا»[1] يعتقد أوغسطين أن المعيار الوحيد لمشكلة الشر هي نقصان الخير، فالابتعاد عن الجوهر ينتج لنا الشر والنقصان في الخير أيضا شر، الله لا يخلق إلا ما هو صالح ونقصان الجوهر دليل على وجود الصلاح في الشيء، والفاسد لا يمكن له أن يفسد، لكن الشيء الحسن والصالح يمكن له أن يفسد وينتج لنا شرور، وبالتالي نقصان الخير يساوي ولادة الشر.

إن شر من وجهة نظر القديس أوغسطين ليس كيان مستقل خلقه الله بل ربطه بالخير واعتبره نقص في الخير، حيث يقول أوغسطين: «إن النقص في الخير شر، فإن تعرض الخير في الكائن إلى النقصان، لابد أن تبقى له بقية من كيان وبوسع هذه البقية أن تعيده إلى كيانه الأصلي، لأنه مهما بلغ هذا الكائن من صغر، فلا يسعنا أن ندمر الخير الذي يجعل منه كائنا، ما لم ندمره هو نفسه(...) ونخلص بالتالي إلى تلك النتيجة المدهشة: بما أن كل كائن خير بذاته، فإذا قلنا أن الكائن الفاسد كائن شرير كأنما نقول إن هو خير هو شرير، وليس من شرير سوى

[1] أوغسطينوس، في الحياة السعيدة، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2007، ص 120

الخير، والحال أن كل كائن خير ولا وجود لما هو شرير، ما دام الشر لا كيان له بحد ذاته»[1] أي أن الشر لا وجود له في العالم وما نراه شرا هو عبارة عن نقص في الخير فإن أي نقص للخير في شيء ما تعتبر شرا في الشيء، والشر يعتبر كيان مستقل لا وجود له، وبالتالي فإن مشكلة الشر في العالمية تطرح عدة مشكلات فلسفية مثل وجود الله مع وجود الشر، لكن أوغسطين يجيب على ذلك بأن العالم والله خير، ولا مجال لخلق الشر، فالشر ما هو إلا نقصان في الخير والشر هو عدم ولا وجود له

يقول القديس أوغسطين: «أن الشر يجب أن تعرفه تعريفا سلبيا لا ايجابيا، فهو عبارة عن نقص في الخير، وعندما ينظر الإنسان إلى هذا النقص، فإنه يقول عنه أنه الشر، الشر هو حرمان الطبيعة من الخير»[2] أي أن كلمة الشر يطلقها الإنسان على الأشياء التي فيها نقص في الخير ولا وجود للشر بصفة مستقلة عن الخير، فهو منعدم في العالم .كما أن معيار مشكلة الشر عند القديس أوغسطين قائمة على «فكرة الحرمان والنقص، قد استطاع أن يفسر بها مشكلة الشر في العالم، باعتبار أنه ليس شرا طبيعيا وذلك لأن الفناء الذي تخضع له الطبيعة كلها ليس شرا، وفناء بعض الموجودات معناها أن هناك بعض الموجودات تحتل مكان الموجودات الأخرى، وأن هناك تقويض وتعادل في عملية الكون والفساد في الفساد»[3] هناك ارتباط معياري بين قضية الحرمان والنقص بمشكلة الشر في العالم، كذلك فإن الفناء الذي يصيب كل الموجودات لا يعتبر

[1] مزواد نسيبة، مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين، مجلة معيار، مجلد 23، العدد48، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2019 ص ص 103 104

[2] كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين" فلسلوف العصور الوسطى، مرجع سابق، ص40

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

شرا، بل يعني أنه هناك موجودات حلت محل الموجودات الأخرى السابقة، لها و تتم هذه العملية وفي دقة ونظام إلهي.

إذن فإن «الطبيعة ليست هي الشر أبدا وما الشر إلا الاسم الذي يطلق على كل ما ليس فيه خير ليس إلا.»[1] مشكلة الشر تقوم على تساؤل رئيسي ينص على ما دام لدينا إله يخلق الخير الأسمى ولا يخلق الشر كيف نبرر وجود الشر في العالم إلا أن أوغسطين يجيب على هذا التساؤل بأنه لا وجود للشر بل يوجد فقط الخير وما الشر الذي نراه إلا نقص في الخير.

المبحث الثاني: مدينة الله عند القديس أوغسطين

حاول أوغسطين أن يدرس العالم ككل وقدم في مؤلفه مدينة الله مجسما كاملا رائعا لهذا العالم بأسره من الناحية المادية والناحية الروحية والاجتماعية والسياسية والتاريخية خاصة... إلخ، حيث يرى أن هناك مدينتان مدينة الله المدينة السماوية ومدينة الشيطان أو المدينة الأرضية حاول أن يقسم بها العالم والبشر.

أولا: المدينة السماوية (مدينة الله)

إن أوغسطين تميز بطبيعة الديني في كل مؤلفاته وقد دافع في مدينة الله على المسيحة، وأراد تثبيتها أكثر فأكثر حيث «يذهب أوغسطين بل يغور في عالم الأديان وقصص الأنبياء ،فبسط لنا وفصل تفصيلا تاريخ الأديان السماوية من عهد أدم عليه السلام ثم قابيل وهابيل ويرى أن انصار المدينة السماوية ومدينة هذا العالم بدأوا في الظهور فانقسموا إلى قسمين منذ أن خلق

[1] عماد الدين الجبوري، التناقضات "دراسة تحليلية للفكريين الديني والفلسفي، إي كتب، ط1، د.ت، ص 79

الإنسان فكان هابيل من أتقياء مدينة الله وهذا عكس قابيل»[1] معنى هذا أن أوغسطين حاول أن يشرح قصص الأنبياء وتاريخهم بداية بظهور الأنبياء إلى غاية ظهور باقي الناس ومع ظهورهم بدأوا بالانقسام، منهم من ذهب إلى المدينة السماوية مدينة الله ومنهم من ذهب إلى مدينة الأرض وهي مدينة الشيطان، واتخذ في هذا مثالا عن قابيل رمز به للشر، وهابيل رمز له بالخير من هنا بدا الانقسام.

«تتجلى مظاهر هذه المدينة منذ القديم في أدم وهابيل ونوح وإبراهيم وموسى وداوود عليهم السلام ثم المسيح كلهم يمثلون الأنبياء الذين دعوا إلى المدينة السماوية»[2] إن من مظاهر المدينة السماوية هم الأنبياء كانوا يدعون لهذه المدينة مدينة الله بواسطة العبادات والتقرب من الله وخشية الله، واضح أن أوغسطين متأثر كثيرا بالكتب المقدسة اليهودية والمسيحية وهذا ما يبرر أيضا كلام أوغسطين عن الأنبياء وتاريخهم بداية من أدم مرورا باليهودية إلى المسيحية.

ان موقف أوغسطين قوي وثقيل على الجانب السياسي كثيرا حيث أنه يرى أن على الدولة أن تخضع للسلطة الكنيسة وإلا فالدولة هنا ليس ضمن مظاهر مدينة الله حيث «يرى أنها لا تستطيع أن تكون جزءا من مدينة الله إلا إذا خضعت للكنيسة في كل الأوامر الدينية»[3] إن هذا يعتبر من أكثر الأسباب التي مهدت لسيطرة الكنيسة في العصور الوسطى فهو إن دل على شيء فهو يدل على قوة فلسفة الأوغسطينية ودعوة للمسيحية.

[1] أحمد حسين السلماني، مدينة الله للقديس أوغسطين، حوليات جامعة الجزائر، رقم1، 1986، ص 257

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] أحمد حسين السلماني، مدينة الله للقديس أوغسطين، مرجع سابق، ص 258

مدينة الله هو رد على الرومان الذين كانوا يعتقدون أن روما خالدة، ولا أحد يمكن له أن يمسها بسوء إلا أنه وبعد سقوطها ظنوا أنها نهاية العالم يقول أوغسطين في هذا «إن روما ليست بالخالدة لأنها مدينة من صنع البشر، وأنها تخضع بالتالي لنواميس الفناء والزوال، أما الحياة الأخرى فهي مدينة الله، وهي أفضل وخير للصالحين، إن ما تعانيه روما وانهيارها إنما هو أمر حتمي وثمرة لما اقترفه حكامها القدامى من ظلم وغشم»[1] يريد أوغسطين أن يبين للرومانيين أن روما تنتمي للمدينة الفناء وليس للمدينة السماوي مصيرها الخلود والأبدية.

«حب الذات لحد احتقار الله صنع مدينة الأرضية، وحب الله لحد احتقار الذات صنع المدينة السماوية»[2] يميز بين المدينة الأرضية والسماوية وغير أن التقرب من الله يؤدي بنا إلى صناعة مدينة سماوية، في حين أن الابتعاد عنه يؤدي إلى صنع مدينة أرضية مدينة الشيطان، لهذا عبارة عن رد الامبراطورية الرومانية التي اعتبرت أن الكنيسة سبب في الدمار والفساد فحين أن أوغسطين قلب الموازين على روما وجعل روما هي مدينة الشيطان التي صنعت من خلال الابتعاد على الله.

يرى أوغسطين أن الإنسان يعيش ضمن ثنائية بين الروح والجسد يبدو أنه متأثر بالفكر اليوناني وثنائية النفس والجسد عند أفلاطون « هناك ولاء للمدينة التي ولد بها وهي المدينة الأرضية (...) أما المدينة الثانية فهي المدينة السماوية التي فيها خلاص والسلام الأبدي وهي مدينة الله التي تمثلت أولا باليهودية ثم المسيحية ثم بالكنيسة وصولا إلى الامبراطورية الرومانية المسيحية»[3] يرى أوغسطين أن الإنسان يولد في مدينة الشيطان، ويسعى للوصول إلى المدينة

[1] بعلي حفناوي، تغريبة الأدب الكنعاني، دروب، عمان، ط1، 2011، ص 318

[2] مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية، المنهل للنشر الالكتروني، عمان،2018 د.ط، ص 127

[3] المرجع نفسه، ص 52

السماوية التي فيها الخلاص والسلام الأبدي فهي تمثل اليهود والمسيحية وصولا إلى الامبراطورية الرومانية ، نلاحظ أن رؤية أوغسطين هي رؤية ميتافيزيقيا وجودية معتمدة على العاطفة من ناحية ومن ناحية أخرى على ايديولوجيته الدينية والفلسفية.

يرى أوغسطين أن المدينة السماوية والأرضية في صراع دائم تكون النهاية في صالح المدينة السماوية لذلك فإن خلاص الإنسان والسلام مرتبط به ولائه للكنيسة التي يمثلها البابا وليس حاكمها من مدينة الأرض فهذا ما يبرر انهيار الإمبراطورية الرومانية لأنها مثلت المدينة الأرضية ومدينة الشر والشيطان.[1]

كذلك يرى أوغسطين أن المدينة السماوية حكمها ليس من البشر، بل من الألهة التي نتقرب لها من خلال العبادة «لا يوجد بها حكمة بشرية، ولكن بها فقط الحكمة الالهية والتي تكتسبها من خلال الصلاة والعبادة للإله الحقيقي، وتبحث عن مكافأتها في مجتمع القديسين والملائكة المقدسين كما في الإنسان المقدس أيضا، لأن الله هو الكل في الكل»[2]

يعتقد القديس أوغسطين أن المدينة السماوية لها علاقة وطيدة مع الله، أيضا فهي تشبه علاقة الأب مع ابنائه «... المدينة مخصصة للأبناء الخاضعين بحب واقتناع للإرادة والمشيئة الالهية والتي تعبر عن حب الأب ورعايته لأبنائه كما تعبر وايضا عن طاعة المواطنين لحاكم

[1] مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 52

[2] نانسي أمير توفيق مرقص، صلة السياسة بالأخلاق في فلسفة القديس أوغسطين، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد3، العدد1، 2013، ص 335

المدينة لأن الطاعة هي بمثابة واجب الابن نحو أبيه»[1] هذه الالفة والتقارب بيننا نحن المؤمنين وبين الله هي سر قوتنا.

إن تمييز أوغسطين للعالم بمدينتين واحدة سماوية وأخرى أرضية لا يعني أنهما منفصلتان، بل هما مختلطتان ومتصلتان، «يمتلك مدينة الله ماديا شعب اسرائيل، ثم تجاوز به فشملت كل المشاركين في الحركة الموجهة للعالم نحو السيد المسيح ومن خلال المسيح ينتهي التمايز السياسي بين كلتا مدينتين فتختلطان ثانية وتعود كل منهما وحدة معنوية لها أعضاء في كل الإنسانية، فالمدينة السماوية تمثل المختارين في الماضي والحاضر والمستقبل»[2] أي أن المدينة السماوية تمثل كل الأشخاص الأتقياء الذين تم اختيارهم على مدار التاريخ.

إذن فإن المدينة السماوية يمكن لنا القول بأنها مدينة ميتافيزيقية غير موجودة على أرض الواقع ولكنها روحيا موجودة بالنسبة لقديس أوغسطين فهي تمثل السلام والخلاص لكل المسيحيين وكل الناس ويجب على كل الناس أن يتقوا الله وحق عبادته لكي ينالوا الرضا ويدخلوا المدينة السماوية فهي مدينة خاصة بالأنبياء والمبعوثون والمختارون، كما أنه ربطها بالميدان التاريخي وتسلسل زمني بداية باليهودية إلى المسيحية إلى الامبراطورية الرومانية.

«يرمز إلى مدينة الله بأورشليم السمائية (القدس) قبل مجيء السيد المسيح، وهي اليوم تعبر عن طائفة المسيحيين وتسمى بالمدينة السماوية وتعمل على نشر العدالة وقد أوكل الله للكنيسة مهمة بناء هذه المدينة السماوية الروحية، وهو يساعدها على النمو والبناء وهي تخضع لله»[3] يربط

[1] نانسي أمير توفيق مرقص، صلة السياسة بالأخلاق في فلسفة القديس أوغسطين، مرجع سابق، ص 336

[2] المرجع السابق، ص 337

[3] المرجع نفسه، ص 344

مدينة الله بمدينة قبل المسيحية وهي نفسها تعبر على المسيحيين وتسعى إلى نشر العدالة والسلام والخلاص، يرى أوغسطين بأن المسيحيين هم الناس الذين تم اختيارهم من أجل بنائها وتعميرها ونشر الايمان بالله.

إن تمييز أوغسطين العالم إلى مدينتين واحدة سماوية وأخرى أرضية لا يعني أنهما منفصلتان، بل هما مختلطان ومتصلتان يمتلك مدينة الله ماديا شعب إسرائيل، ثم تجاوز به فشملت كل المشاركين في الحركة الموجهة للعالم نحو السيد المسيح ينتهي التمايز السياسي بين كلتا المدينتين فتختلطان ثانية وتعود كل منهما وحدة معنوية لها أعضاء في كل الإنسانية فالمدينة السماوية تمثل المختارين في الماضي والحاضر والمستقبل»[1] أي أن المدينة السماوية تمثل كل الأشخاص الأتقياء الذين تم اختيارهم على مدار التاريخ ومنهم الأنبياء.

ثانيا: المدينة الأرضية (مدينة الشيطان)

مدينة الشيطان أو المدينة الأرضية هي مدينة كل البشر غير الأنبياء أيضا نجد فيها الأشرار والناس الغير صالحين الذين ابتعدوا على الطريق الحق وطريق عبادة الله، وبالتالي انقسموا انغمسوا في الخطيئة والشر يقال عنها: «هي موطن السلطات السياسية بأخلاقها وتاريخها ومتطلباتها نلاحظ أن مدينة من هذا النوع لا يمكن ان تكون كاملة ذلك لأن فيها الظلم، كما أنها في حالة حرب مستمرة مع مدينة الله إنها بابيلية(...) مدينة الشر وموطن الأشرار والحب الحسي الشهواني وغير النقي وهي في خلاف مع الله»[2] ان مدينه الشيطان هي المدينة التي نعرفها نحن ونعيش فيها فهي الحياة التي نجد فيها حروب وصراع حول السلطة والسياسة أيضا حول الأطماع

[1] نانسي أمير توفيق مرقص، صلة السياسة بالأخلاق في فلسفة القديس أوغسطين، مرجع سابق، ص 337

[2] المرجع نفسه، ص 344

والمنافع والبحث عن الماديات فهي ما يراه أوغسطين أنها مدينة الشيطان وفيها تجتمع كل الشهوات الإنسانية وتبعده عن الطريق الصواب

يرى القديس أوغسطين أن المدينة السماوية والمدينة الأرضية في صراع دائم تضم الأولى المؤمنين المسيحيين واليهود ومدينة الشيطان تضم أتباع الديانات والحضارات الكبرى الأخرى ومن بينهم المسيحيون الضالون،[1] إذ هناك صراع ميتافيزيقي يراه أوغسطين بأنه موجود بين المدينة السماوية والمدينة الأرضية باعتبار أن الأولى تحمل كل اليهود والمسيحيين المتدينون والمتقربون من الله أما المدينة الثانية تحمل باقي شعوب الحضارات الأخرى المسيحيين الضالون يمكننا القول بأن أوغسطين يرى بأن الشعب اليهودي والمسيحيين هم شعب الله المختار وأكثر الناس قربة لله واخلاصا له، وقد وكلهما من أجل نشر المسيحية والدعوة إلى المدينة السماوية، مما لا شك فيه أنها دعوة أو موقف نابع من المرجعية الدينية والفلسفية للقديس أوغسطين أما المدينة الثانية مدينة الشيطان فهي مزيج كل الحضارات مرت على تاريخ البشرية والأشخاص الغير مؤمنين والضالون عن الدين المسيحي.

مدينة الشيطان المدينة الدنيئة فهي أقل قيمة من المدينة السماوية وهي المجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص الذين يعصون إرادة الله ويتبعون الشهوات البشرية والأنانية يقول أوغسطين على مدينة الأرض «سيدة الشعوب المستعبدة سوف تكون بدورها أسيرة الشهوة والتسلط»[2]

[1] هاشم يحيئ السلاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلية، بيروت، 1971، د. ط، ص 103

[2] القديس أوغسطين، مدينة الله، تعريب: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2 ،2006، ص 9

ألا يخرج من مدينة الأرض هذه أولئك الأعداد الذين يجب أن نحمي مدينة الله منهم بعضهم من تراجع عن كفره وظلاله (...) وكم من أحقاد المتوقدة وقلوب انغلقت على ذاتها»[1] يعرض أوغسطين تأسفه على هذه المدينة الضالة التي لو شاء الله لهدى شعبها وعاده مرة أخرى إلى مدينة الله مخلصا لله.

إن المدينة السماوية والأرضية رمز للصراع الدائم بين الخير والشر صراع بين حب الله وحب الذات والغرائز، كذلك صراع بين السعي نحو عبادة الله والسعي نحو جني الثمار المادية الدنيوية السلطة السياسية

المبحث الثالث الشر الأخلاقي بين الوجود واللاوجود:

مما توصلنا له أن أوغسطين يقترح لا وجود له ضمن منظومة الكون وضمن الموجودات أي أن الله لم يخلق الشر ككيان مستقل بل ربطه بالخير واقترح أن الشر هو نقص في الخير أيضا توصلنا لأن سكان مدينة الشيطان هم الذين اختاروا طريق الشر ولم يختاروا طريق الحق والسلام ألا وهي مدينة الله وبالتالي ما أصل الشر وما طبيعة الشرور وما علاقة الإنسان بالشر في العالم؟

أولا أصل الشر ومصدره:

لقد حاول جاهدا قديس أوغسطين أن يبحث عن أصل الشر الأخلاقي في العالم وكيف يؤثر على الأخلاق والحياة البشرية، إن الشر الأخلاقي ليس شيئا حقيقيا بذاته بل هو انحرافا عن الخير ونقص فيه كذلك فإن الشر هو رمز للعدم كما قلنا سابقا، كما أن أوغسطين يرى أن الشر

[1] القديس أوغسطين، مدينة الله، مرجع سابق، ص 9

نوعين الطبيعي وأخلاقي بالنسبة للشر الطبيعي «فإن قيل إن العالم مسرح للخراب والدمار بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين والعواصف، فالرد على هذا هو أن الأشياء التي تهدمت هي في ذواتها خيرة ولا بأس أن تحل بعض الأشياء محل بعض، وأنه هو لحمل منظر التغير الذي تحدثه هذه العوامل الهدامة»[1] أما الشر الأخلاقي فرح فهو «يرجع إلى حرية الإرادة الإنسانية »[2]إذن هل الشر جوهر في الطبيعة أم اختيار نابع من الحرية الإنسانية والإرادة الحرة وحدها ؟

يقول أوغسطين: «بأن الشر ليس إلا فساد وليس طبيعة بل هو ضد الطبيعة والفساد هو الشر كل الأشياء التي يمكننا أن نتكشف فيها العدم أو الحرمان شر، ففساد العالم يسمى الجهل، فساد الحكيم هو اللاحكمة وفساد العدل هو اللاعدالة وفساد الشجاعة هو الجبن، وفساد النفس الهادئة هو الشجع والقلق، وفساد الصحة في الجسم الحي يسمى الألم والمرض وفساد الجمال هو القبح»[3] كل هذه هي الصفات والأفعال الشريرة والسيئة لا وجود لها بالفعل وإنما هي مجرد فساد لصفات أخرى حسنة وطيبة، إذن فلا يمكن أن يكون الشر جوهر في الطبيعة بل هو فقدان وفساد وحرمان .

إن أوغسطين يرى أن مصدر الشر ليس الله ولا يمكن أن يكون الله، فالله مصدر كل خير موجود في العالم وليس العكس حيث يقول أوغسطين: «الله مصدر الخير وليس مصدرا للشر، هل يعقل أن يكون الرب الإله مصدرا للشر(...) يا مبدع الأشياء الطبيعية ومنظمها، ما عاد

[1] كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مرجع سابق، ص 15

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الخطيئة طبعا فأنت لها مبدع»[1] فالإنسان مصدر كل الشرور أو بالأحرى المخلوقات هي مصدر كل الشرور ما دام الله لا يوجد إلا الخير ولا شيء سواه.

إن في قضية مصدر وأصل الشر في البداية أوغسطين اتخذ موقفا قريبا من الأفلاطونية المحدثة القائلة أن ان الجسد والمادة هما المصدر الأساسي للشر في العالم وقد ذهب أوغسطين إلى أن المادة أقل درجة في الموجودات وجد أن القول بأن المادة شر يناقض الله فهو حسن ولا شر فيه، وبما أن المادة أحد الموجودات فمن المستحيل أن تكون شر بعد ذلك اتجه أوغسطين للبحث عن إجابة أخرى وتوصل في النهاية إلى أن مصدر الشر في العالم سببه حرية الاختيار وإرادتنا الحرة،[2] إن إرادة الإنسان هي مصدر كل الشرور لأن الإنسان هو الذي يختار أفعاله بناء على الحرية التي يمتلكها وهو مسؤول على كل اختياراته وأفعاله.

والدليل على ذلك في نظره «هو العقاب الالهي العادل الذي ينزله الله على العبد»[3] فهو يدل على أن الإنسان مسؤول على أفعاله والشرور التي يقوم بها في الحياة، ويعاقب عليها من الله بعد مماته أو في حياته، فهذا ما يؤدي إلى الخراب والدمار والانهيار وقد شاهدناه في الإمبراطورية الرومانية حسب رؤية أوغسطين في مؤلفه مدينه الله .

لقد اعترف أوغسطين بالحرية الانسانية لأنها دليل يبين الدافع وراء العقاب الالهي «بدون الاعتراف بالحرية فليس ثمة داع لثواب وعقاب وجنة ونار»[4] فالله أعطى الإنسان الحرية وتركه يختار أفعاله بنفسه لكن في النهاية سوف يلاقي جزاءه بالثواب أو العقاب نتيجة أفعاله، كذلك ما

---

[1] أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، مصدر سابق، ص ص 17 24

[2] كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مرجع سابق، ص 17

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] كامل محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 65

يثبت وجود الحرية الإنسانية هي مجموعة الأوامر والنواهي الإلهية، فلا معنى لهذه الأوامر في غياب الحرية الإنسانية «إذا كيف يخاطبني الله بقوله افعل أو لا تفعل مع أني إذا لم أكن حرا لا املك القدرة على الفعل! كذلك فإن المرء يعد حق رب أفعاله وسيدها»[1]

إذن فإن أصل الشر ومصدره حسب القديس أوغسطين هو الحرية والإرادة الإنسانية، ذلك من خلال اختيار الإنسان أفعاله وسلوكياته، فقد يختار الإنسان أن يسلك طريق الخير وقد يسلك طريق الشر، لكن في المقابل يجد الجزاء من عند الله سوء بالثواب على أفعاله الجيدة أو عقاب دنيوي أو أخروي على أفعاله السيئة، هذا بخصوص الشر الأخلاقي لكن الشر الطبيعي يقر أوغسطين بأنه غير موجود والمادة لم تكن يوما شرا لأن الله لا يخلق شر، وما نعتقده شر ما هو إلا نقص في الخير، والفساد هو حرمان و نقص، فالله لم يخلق بين كل موجوداته شرا واحدا، لكن ما دام الشر غير موجود لماذا الإنسان يخطئ وما تفسير أوغسطين للخطيئة؟

ثانيا الخطيئة:

وقد عرف جورج هارت الخطيئة بأنها «عدم الاعتقاد وعدم طاعة مشيئة الله والمملاة علينا من ضميرنا الأخلاقي الداخلي، ومن القانون أو الانجيل إذا ما عبر عن هذا الموقف بالتفكير أو الكلمات أو الأعمال، حتى يصبح مرسى داخليا للاستعداد للخطيئة»[2] الخطيئة عبارة عن عدم رضا بأوامر الله وقوانينه الإلهية وبالتالي يتمرد الإنسان على هذه أوامر وقد نعبر عن هذا الرفض بواسطة كلمات أو تفكير لتتطور فيما بعد وتصبح خطيئة.

[1] المرجع نفسه، ص 66

[2] جورج هارت، المسيحية" عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيى، تر: توفيق محفوظ، أفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص77

إن الفلسفة اللاهوتية عند القديس أوغسطين، هتمت بالأخلاق ومشكلة الشر والخير في العالم، وقد تبين لنا أن سبب كل الشرور والأخطاء الإنسان وحده لأنه يملك الإرادة الحرية، فكل اختياراته وأفعاله وبتالي هو مخير وليس ميسر، لكن تطرق أوغسطين إلى مشكلة الخطيئة باعتبار أنها مشكلة طرحت في العديد من الكتب المقدسة والمؤلفات اليونانية، حول ماهية هذه الخطيئة؟

في النظرية اللاهوتية والفلسفية لأوغسطين، يعتبر الخطيئة كلمة أو فعل أو رغبة تخالف القانون الأبدي لله، ويفهم القانون الإلهي في هذا السياق بأنه يعتبر أعلى من الطبيعة ويرسم حدودًا لها، وبالتالي، قد يبدو أن هناك تعارض بين القانون الذي يحكم الطبيعة ويسيطر عليها ،ومن المفترض أن الطبائع البشرية تكون معرضة للخطيئة بسبب خروجها عن طبيعتها الحقيقية أو عصيانها لله، ويتم قياس استقامة الأفعال البشرية بمدى انسجامها مع القانون الذي وضعه الله للطبائع، وهو القانون الأبدي، ويشير القانون الأبدي إلى عقل الله الذي يشمل ويحتوي العقل البشري ويتضمن وصايا الله. ويعتبر عصيان العقل عصيانا لله نفسه، ويعتبر كل خطيئة انتهاكا للقانون الإلهي، هذا هو تفسير أوغسطين للخطيئة وعلاقتها بالقانون الأبدي والطبائع البشرية، يعتبر هذا التفسير جزءًا من الفلسفة اللاهوتية التي تعتمده أوغسطين[1].

بعد أن وجدنا أن القديس أوغسطين متأثر كثيرا بالفلسفة اليونانية وكتب الفلاسفة اليونان، يعتبر أيضا حديثه عن الخطيئة تأثر بالفلسفة اليونانية حيث«يعتبر أوغسطين أول من استخدم مصطلح الخطيئة الأصلية مقدما تفسيرا مُتكاملا لجوانبها العقدية، من خلال الاعتماد على رسائل بولس. ورغم وجود مجموعة من التفسيرات المسيحية في بدايات القرون الأولى، كما هو الشأن بالنسبة لـ إيريناوس أسقف ليون، إلا أن القبول وأخذ الشرعية من طرف الكنيسة كانا من نصيب

[1] كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مرجع سابق، ص 19

أوغسطين»[1]. أي أن مشكلة الخطيئة كانت مطروحة منذ القديم في الحضارة اليونانية لكن أوغسطين أضفى عليها الصبغة المسيحية.

يرى أوغسطين أن أول خطيئة حدثت هي خطيئة أدم حيث يرى أوغسطين «أن أدم قبل السقوط كانت له إرادة حرة ولكن في مستطاعه أن يمتنع عن اقتراف الخطيئة لكنه لما أكل التفاحة هو وحواء دخلهما الفساد الذي انتقل منهما إلى خلقهما كله، ولم يعد أحد من هذا الخلق يستطيع بقوته الخاصة أن يمتنع على الخطيئة، فلا سبيل أمام الناس إلى حياة الفضيلة إلا برحمة من الله »[2] إن أول خطيئة قام بها الانسان هي خطيئة أدم وانتقلت منه إلى بقية ذريته، ونتيجة لذلك الناس يعانون لعنة إلهية أبدية لولا فضل الله الذي أكرم الأتقياء وعاقب الأشرار والمخطئين، إن مصدر الشرور بدأ مع خطيئة أدم ومنها انتشرت إلى باقي ناس، فالإنسان السبب الرئيسي للشر والخطايا، والله ما هو إلا هادي لنا ومرشد لطريق الخير والخلاص.

يرى أن «كلنا فاجرون فجورا تاما إلا من شاء الله برحمته أن يرفع عنه فجوره وهذه الرحمة الإلهية قاصرة على من رضى عنهم ولا نستطيع أن نجد علة الخلاص في فريق ولعنة فريق آخر فذلك محض اختيار من الله لا تدفعه إليه الدوافع، فاللعنة برهان على عدالة الله والخلاص برهان على رحمته وكلاهما معا يكشفان عما يتصف به الله من الخير»[3] كل ناس أشرار وخاطئون، والله يعاقب الفئة المخطئة، كما أن الخطيئة قديمة جدا مع قدم الخليقة وظهور أدم.

يرى أوغسطين أن الخطيئة واللطف اللاهي، موجودان دائما ولا يمكن أن تستمر الحياة في العالم دون هذان الرمزان فالأول يمثل الشر الموجود في العالم، وثاني ترمز للرحمة الإلهية التي

[1] ياسين اليحياوي، الخطيئة الأصلية في فكر أوغسطين، مجلة الدراسات الدينية، العدد2، أفريل 2015، د. ص

[2] كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين" فلسوف العصور الوسطى"، مرجع سابق، ص ص 81 82

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

لا تفارق الإنسان، وتنقضه من الضلال والعذاب الإلهي حيث يرى «أن بين الخطيئة واللطف الإلهي جدل علينا الإيمان به، وإذا أردنا استعمال العقل فيها فليكن بقدر كي لا نضل عن إيماننا»[1] هناك جدل مستمر بين خطأ الإنسان وبين اللطف الإلهي فهو الذي يرشدنا مرة أخرى نحو الطريق الصحيح والابتعاد عن الظلالة.

وفقًا لتفسير الكنيسة للكتب المقدسة، يعتبر القانون نفسه هو الذي يحدد الأعمال التي تعتبر خطيئة، وهذه الأعمال لم تكن مدانة قبل أن يعلن القانون عنها كونها مخالفة، وبالتالي، ينزل على الإنسان عقاب القانون الكوني للعدالة إذا ارتكب هذه الأعمال المدانة، وتؤدي الخطيئة إلى ضلال الإنسان وتحريف قدراته وإمكانياته، حيث تظلم العقل وتحرض الغرائز وتعطل الإرادة في مواجهة الله، هذه هي واحدة من التفاسير المقدمة بواسطة الكنيسة للكتب المقدسة بشأن الخطيئة وتأثيرها على الإنسان ويعتبر هذا التفسير جزءًا من العقيدة والتعاليم الدينية المعتمدة في الكنيسة[2].

إن الخطيئة نتيجة ضعف الإرادة الإنسانية وبعد عن الله فهي تبعد الإنسان عن السعادة وعن الراحة ويصبح عبدا شهواته وغرائزه، وعلى الإنسان أن يتقرب من الله وعبادته لك يعود مرة أخرى تحت رحمة الله ولطفه وإلا سوف ينغمس في خطاياه وشروره وشهواته وغرائزه وينسى الطريق الصح.

يعتقد أوغسطين أنه لم يكن من المنطقي بالنسبة لعدو الخير أن يشاهد المنظومة الإلهية تسير على خير وأن آدم وحواء يعيشان في محبة وسعادة وعلاقتهما مع الله في أفضل حالاتها،

[1] محمد فوزي المهاجر، نشأة الفكر العقدي الإسلامي وتطوره، مجمع الأطرش للكتاب المختص، د. ب، ط1، 2017، ص 128

[2] جورج هارت، المسيحية" عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيي، مرجع سابق، ص 78

في حين أنه يعيش في الجحيم الأبدي، إبليس يعلم جيدًا أن آدم هو أفضل ما خلق الله، سقوط إبليس لم يؤثر بشكل مباشر على قلب الله كما أنه يؤثر على قلبه أن يسقط آدم وحواء، اللذين هما هدف حبه واهتمامه ، هذه واحدة من الطرق التي يتم بها تفسير هذه الخطيئة وسيطرت الشر، وفقًا للمعتقدات الدينية والعقيدة، يعتبر هذا التفسير جزءًا من الفهم الديني للعدوانية والقوى الروحية الشريرة ودورها في التأثير على البشرية وعلاقتهم مع الله.[1]

إن أصل الشر هو الإنسان، منذ بداية الخليقة مع أدم وحواء وتم توريث هذه الخطيئة اباقي أبناء أدم ومن شأنها أن تبعد الإنسان عن الطريق الصائب واقحامه في حب الحس والغرائز والشهوات، والحل الوحيد الباقي هو العودة مرة أخرى إلى طريق الحق الذي يجد فيه الإنسان راحته وخلاصه وسلامه من خلال العبادات والأعمال الصالحة.

خلاصة:

وفي النهاية توصلنا إلى خلاصة الفصل الثاني الذي تناولنا فيه مشكلة الشر عند القديس أوغسطين حيث تبين لنا لأن الشر ما هو إلا نقص للخير ولا وجود للشر بصفة مستقلة عن الموجودات فهو رمز للفساد والحرمان، كذلك توصلنا إلى أن أوغسطين حاول تقسيم العالم إلى مدينتين من الناحية الاجتماعية والسياسية والتاريخية ودينية وهما المدينة السماوية والارضية حاول أوغسطين أن يشرح بأن مدينة الله رمز للعدل والسلام والخلاص ومدينة الشر هي مدينة الحروب والدمار زلازل و غيرها من الشرور الموجودة في العالم كذلك توصلنا لأن مصدر الشر ليس المادة لأننا قلنا أن الشر غير موجود في موجودات فالله لا يخلق الشر وبتالي ليست مصدرا للشر لكنه

[1] داوود لمعي، تأملات في حياة آدم، كنيسة مارقص، مصر – قاهرة، 2011، د.ط، ص 50

توصل في النهاية أن الإرادة الحرة والحرية الانسانية هي مصدر الإنسان فهو الذي يختار طريقه بنفسه الذي يحدد مصيره في النهاية، فهو الذي يقرر ارتكاب الشرور والأفعال السيئة أو ارتكاب الأفعال الحسنة والخيرة، وبناء على ذلك يجزئ أو يعاقب كما أن الخطيئة بدأت منذ القديم مع أدم وحواء وانتقلت بعد ذلك إلى الأجيال اللاحقة، وانتقلت معها اللعنة لطف الله ورضاه عن الناس وهدايتهم الطريق المستقيم.

خاتمة

خاتمة:

وفي نهاية عملنا هذا لم يبق علينا سوى القول إننا حاولنا أن نحيط بكل مشروع القديس أوغسطين الفلسفي، خاصة المجال الأخلاقي، والتعرف على رؤيته تجاه مشكلة الشر وموقفه منها، كما سعينا إلى الإجابة عن الإشكالية التي طرحناها في البداية والإشكالات التي اندرجت تحتها، منطلقين من تحليل أفكار القديس أوغسطين والاعتماد على المرجعية الفكرية والتاريخية المحاطة بهذه الأفكار وتبين لنا، أن القديس أوغسطين حاول أن يحيط بجل مشكلة الشر والخير في العالم، في فلسفته اللاهوتية المصبوغة بالطابع المسيحي، ومن خلال كل هذا توصلت لمجموعة من النتائج ولعل أبرزها ما يلي:

-مشكلة الشر ارتبطت بها مجموعة من المفاهيم التي لها صلة بها بصفة كبيرة ومن أهم هذه المفاهيم نجد : المشكلة والخير والعالم، هذا لأن محور مشكلة الشر يدور في فلك واحد مع هذه المفاهيم المكملة لبعضها البعض.

-قسم أوغسطين العالم إلى قسمين مدينة الله وهي مدينة سماوية، يجتمع فيها الناس المختارون والأتقياء مثل الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى هداية الناس، كذلك كل تصرفاتهم خيرة وبعيدة عن الشر، في حين أن المدينة الثانية مدينة الشيطان والمدينة الأرضية تجتمع فيها كل الشرور والناس الشريرة الموجودة في العالم الواقعي المعروف لنا، وحسب رأي أوغسطين فهي مدينة دائمة الحروب والدمار والتنازع على السلطة.

-هناك جدلية بين الشر والخير عند القديس أوغسطين، حيث أن الخير هو رمزا للكمال بينما الشر رمز للنقص والحرمان، فما يراه الإنسان شر ما هو إلا خير أصابه النقصان والحرمان وبتالي أصبح الإنسان ينظر إليه نظرة شر.

خاتمة

-يعتقد أوغسطين أن الله لا يخلق الشر، فكل الموجودات هي خير، وبتالي لا وجود للشر فيرمز له أيضا بالعدم، وبتالي هنا حاول أوغسطين إثبات أن الله ليس هو مصدر الشر في العالم وكل ما خلقه هو خير.

-إن مصدر الشر حسب وجهة نظر القديس أوغسطين ليس مصدرا إلاهي، أي أنه ليس من عند الله وليس من مخلوقاته وموجوداته، إنما مصدره الإنسان وبالضبط الحرية الإرادة الإنسانية، فالإنسان هو الذي يختار أفعاله وسلوكياته، وبتالي يسلك الطريق الصحيح طريق الخير أو الطريق الخاطئ طريق الشر.

-يرى أن الإنسان الذي يختار الشر نتيجة إتباعه لغرائزه وشهواته الدنيوية التي لا معنى لها وبتالي يبتعد عن طريق الله وطريق الحق الذي يدعو له الله والأنبياء.

-يرى أن الناس يختارون طريقهم ولهم الحرية في ذلك، لكن الله وحده القادر على إعادة الناس إلى طريق الحق والخير، بواسطة اللطف الإلهي ومن دون هذا الأخير يظل الإنسان طاغيا وشريرا طول حياته.

-صحيح أن الإنسان حر في اختيار أفعاله وتصرفاته، لكنه يعتبر مسؤول على إخياراته وبتالي يعاقب أمام الله، وقد يكون العقاب فوري وهو على قيد الحياة، أو يؤجل إلى يوم الحساب ويأخذ عقابه أو ثوابه حسب أفعاله الدنيوية.

وفي نهاية فإن القديس أوغسطين سعى إلى تأسيس فلسفة تجيب على كل الأسئلة الوجودية في العالم بداية من أرض الواقع إلى الأخرة ويوم الحساب، تواكب حياة الإنسان وتعالج مشكلاته المختلفة، وبتالي وضع مفاهيم جديدة وقراءات متغيرة لاهوتية معتمدة على الدين المسيحي

خاتمة

والديانات السماوية، فبرأيه تستطيع هذه الأخيرة أن تواكب مشاكل الإنسانية ومن بينها مشكلة الشر ووجود الله ، وفي الختام لم يبق لنا سوى القول إن مشروع أوغسطين الفكري الصوفي مشروع خصب، وينبغي له الدراسة والتعمق، كذلك جل القضايا الأخلاقية والوجودية للفلاسفة الاهوتيين تحتاج إلى البحث والدراسة خاصة مع تطور وتأزم الواقع والأخلاق الإنسانية، وموضوع مشكلة الشر من أهم القضايا التي نجدها في العصور كلها، التي تنادي بالدراسة خاصة في عالمنا العربي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. القديس أوغسطينوس، في الحياة السعيدة، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2007.
2. أوغسطينوس، محاورة الذات، تعريب: الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2005
3. القديس أوغسطين، مدينة الله، تعريب: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2 ،2006.
4. أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، تعريب: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط4، 1986.

مراجع:

1. بعلي حفناوي، تغريبه الأدب الكنعاني، مكتبة دروب، عمان، ط1، 2011.
2. جاريث ماثيوز، أوغسطين، تر: أيمن فؤاد زهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.
3. جاكلين روس، المناهج في الفلسفة، ترجمة: عبد العزيز ركح، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2020.
4. جورج هارت، المسيحية" عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيي، ترجمة: توفيق محفوظ، أفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2011
5. جونو وبوجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، ترجمة: علي زيغود، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د. ط، 1993.
6. داوود لمعي، تأملات في حياة آدم، كنيسة مارقص، مصر – قاهرة، 2011، د. ط

قائمة المصادر والمراجع

7. عبد الكريم بلبل، مدخل الى الفلسفة، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، 2018، د. ط.

8. عماد الدين الجبوري، التناقضات "دراسة تحليلية للفكريين الديني والفلسفي، إي كتب، ط1، د.ت.

9. كامل محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ط

10. محمد فوزي المهاجر، نشأة الفكر العقدي الإسلامي وتطوره، مجمع الأطرش للكتاب المختص، د. ب، ط1، 2017.

11. مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية، المنهل للنشر الالكتروني، عمان،2018 د. ط.

12. هاشم يحيئ السلاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلية، بيروت، ط1، 1971.

معاجم وموسوعات:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1979، د، ط.

2. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2001.

3. جميل صليبا، معجم فلسفي، ج1 دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د. ط، 1972.

4. جميل صليبا، معجم فلسفي، ج2 دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د. ط، 1972.

5. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، 2004.

6. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

قائمة المصادر والمراجع

الرسائل ودوريات:

1. إلياس عبد الله دكار، أوغسطين تاغشت الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي، مجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مجلد5، العدد9، أكتوبر 2020، الجزائر.
2. أحمد حسين السلماني، مدينة الله للقديس أوغسطين، حوليات جامعة الجزائر، رقم1، 1986
3. بن السيلت فاطمة، العقل عند القديس أوغسطين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2017.
4. قاصدي مرباح، فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2017.
5. كحول سعودي، الشر الاخلاقي عند القديس أوغسطين من الوجود إلى اللا وجود، مجلة: مينيرفا، مجلد5، العدد2، فيفري 2021، الجزائر.
6. مزواد نسيبة، فلسفة الحضارة عند القديس أوغسطين، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، قسم الفلسفة، 2012/2011.
7. مزواد نسيبة، مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين، مجلة معيار، مجلد 23، العدد48، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2019، الجزائر.
8. نانسي أمير توفيق مرقص، صلة السياسة بالأخلاق في فلسفة القديس أوغسطين، سلسلة أبحاث المؤتمر السنوي الدولي " كيف نقرأ الفلسفة"، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد3، العدد1، 2013.
9. ياسين اليحياوي، الخطيئة الأصلية في فكر أوغسطين، مجلة الدراسات الدينية(مجلة إلكترونية)، العدد2، أفريل ،2015.

الفهرس

الفهرس

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول: فلسفة القديس أوغسطين

تمهيد..... 6

المبحث الأول: شبكة المفاهيم.....7

أولا: مفهوم المشكلة.....7

ثانيا: مفهوم الشر.....9

ثالثا: مفهوم الخير..... 12

رابعا: مفهوم العالم.....14

المبحث الثاني: لمحة عن القديس أوغسطين 15

أولا: حياته هو مؤلفاته..... 15

ثانيا: المرجعية الفكرية والفلسفية للقديس.....17

المبحث الثالث: ملامح فلسفه القديس أوغسطين.....21

الفهرس

أولا: الخير عند القديس أوغسطين.....22

ثانيا: الدليل الانطولوجي وقيمه الحدس في اثبات وجود الله.....25

خلاصة.....29

الفصل الثاني: فلسفة الشر عند أوغسطين

تمهيد.....31

المبحث الأول: المفهوم المعياري لمشكله الشر.....32

أولا: مفهوم المعيار.....34

ثانيا: الشر عند القديس أوغسطين.....37

المبحث الثاني: مدينة الله عند القديس أوغسطين.....37

أولا: المدينة السماوية.....42

ثانيا: الشر الاخلاقي بين الوجود واللاوجود.....44

أولا: أصل الشر ومصدره.....44

ثانيا: الخطيئة..... 47

خلاصة.....51

الفهرس

خاتمة.....54

قائمة المصادر والمراجع.....58

الفهرس.....62